# تفسير سورة العنكبوت

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ
فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ
حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُوا۟
لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ
لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾

[العنكبوت: ١-٧].

س: وضح معنى ما يلي:
﴿الٓمٓ - أَحَسِبَ - لَا يُفۡتَنُونَ - فَتَنَّا - يَسۡبِقُونَاۚ - سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ - يَرۡجُواْ - لَنُكَفِّرَنَّ - سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾؟
ج:

| الكلمة | معناها |
|---|---|
| ﴿الٓمٓ﴾ | أحرف مقطعة لا يعلم معناها إلا الله |
| ﴿أَحَسِبَ﴾ | أفظن |
| ﴿لَا يُفۡتَنُونَ﴾ | لا يختبرون – لا يبتلون |
| ﴿فَتَنَّا﴾ | اختبرنا |
| ﴿يَسۡبِقُونَا﴾ | يفوتوننا ويهربون منا فنعجز عن إدراكهم ولا نؤاخذهم بأعمالهم |
| ﴿سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ | بئس ما يظنون – بئس ما حكموا به على الله ربهم إذ حكموا بأنه عاجز عن إدراك خلقه |
| ﴿يَرۡجُواْ﴾ | يأمل – يطمع – يخاف |
| ﴿لَنُكَفِّرَنَّ﴾ | لنمحون – لنغفرن |
| ﴿سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾ | الأعمال السيئة التي عملوها |



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: أفظن الناس أن يتركوا بلا ابتلاء ولا اختبار ولا امتحان لمجرد قولهم آمنا، كلا بل ستختبرون وتمتحنون. أما قوله: ﴿الٓمٓ﴾ فهي أحرف مقطعة لا يعلم معناها إلا الله.

**قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

وأما قوله: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾ فإن معناه: أظنَّ الذين خرجوا يا محمد من أصحابك من أذى المشركين إياهم أن نتركهم بغير اختبار ولا ابتلاء –امتحان–، بأن قالوا: آمنا بك يا محمد فصدّقناك فيما جئتنا به من عند الله، كلا لنختبرنهم، ليتبين الصادق منهم من الكاذب.

**وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

﴿وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾ يمتحنون أي أظن الذين جزعوا من أذى المشركين أن يقنع منهم أن يقولوا إنا مؤمنون ولا يمتحنون في إيمانهم وأنفسهم وأموالهم بما يتبين به حقيقة إيمانهم.

**وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

وقوله: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾ استفهام إنكار، ومعناه: أن الله سبحانه وتعالى لا بد أن يبتلي عباده المؤمنين بحسب ما عندهم من الإيمان، كما جاء في الحديث الصحيح: «**أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في البلاء**». وهذه الآية كقوله: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢].



## حتمية الابتلاءات

**س: اذكر بعض الأدلة على حتمية الابتلاءات وهل يقتصر الابتلاء على أهل الشر فقط؟**

**ج: من ذلك ما يلي:**

* قال تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢-٣].

* وقال تعالى: ﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تُتۡرَكُواْ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَلِيجَةٗۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾.

[التوبة: ١٦]

* وقال تعالى: ﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

* وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ ﴾ [الملك: ٢].

* وقال تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ ﴾ [الإنسان: ٢].

* وقال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ﴾ [الكهف: ٧].

* وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ ﴾ [هود: ٧].

**وهذه الابتلاءات – عافانا الله والمؤمنين من كل مكروهٍ وسوء – تعم الصالحين والطالحين على السواء:**

* قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ ﴾

[المائدة: ٤٨].

* وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١].

* وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].

* وقال تعالى: ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ﴾ [محمد: ٤].

* وقال تعالى: ﴿۞ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

* ثم إن أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل:

«**يُبتلى الرجل على قدر دينه فإن كان في دينه صلابةٌ زيد في البلاء**» قاله النبي ﷺ[١].

* ولذا فلما قال عبد الله بن مَسْعُود رضي الله عنه لرَسُولِ اللهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا، قَالَ: «**أَجَلْ إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ**». قُلْتُ: ذَلِكَ بِأَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ؟ قَالَ: «**أَجَلْ، ذَلِكَ كَذَلِكَ مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا**»[٢].

ثُمَّ إنَّ الناظرَ في كتاب الله عز وجل، والمتأملَ في سيرةِ رسول الله ﷺ والمتتبعَ لسيرِ أهلِ الفضلِ والصلاحِ وغيرهم يرى بوضوح وجلاءٍ أنهم جميعًا قد ابْتُلُوا واخْتُبِرُوا وأن الابتلاءات والاختبارات قد تعددت وتنوعت وها نحن نسوق

(١) وسيأتي بلفظه إن شاء الله.

(٢) البخاري (حديث ٥٦٤٨)، ومسلم (٢٥٧١).

هنا – بمشيئة الله – أمثلةً من الابتلاءات التي تعرَّضَ لها الأنبياء وأهلُ الفضل والصلاح لعلَّ مدكرًا أن يدّكر ومتعظًا أن يتَّعظ فالذكرى تنفع المؤمنين والاشتراك في المصائب يُهَوِّنُهَا على أهلها في الحياة الدنيا(١).



## معرفة النعمة من النقمة

س: كيف يعرف الشخص أن الذي حلَّ به ابتلاء أو انتقام؟

ج: هذا في الغالب بالنظر إلى سيرته وعمله، فإن كانت سيرته حسنة وعمله صالحٌ فالغالب أن الذي حلَّ به ابتلاء لرفعة درجاته، وإن كان مسرفًا على نفسه متعديًا على الخلق ففي الغالب أن ما أصابه انتقام منه حتى يرجع عن شره وفساده والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: ولقد اختبرنا وابتلينا الذين من قبل المؤمنين بك، الذين قالوا آمنا، اختبرناهم وابتليناهم فمنهم من وجدناه صادقًا في قوله، ومنهم من لم يكن كذلك. بل كان كاذبًا في دعواه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولقد اختبرنا الذين من قبلهم من الأمم، ممن أرسلنا

---

(١) أما في الآخرة فلا يهونها، قال تعالى: ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٩] أي: لن ينفعكم اليوم اشتراككم في العذاب.

إليهم رسلنا، فقالوا مثل ما قالته أمتك يا محمد بأعدائهم، وتمكيننا إياهم من أذاهم، كموسى إذا أرسلناه إلى بني إسرائيل، فابتليناهم بفرعون وملئهم، وكعيسى إذ أرسلناه إلى بني إسرائيل، فابتلينا من اتبعه بمن تولى عنه، فكذلك ابتلينا أتباعك بمخالفيك من أعدائك ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ منهم في قيلهم آمنا ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ منهم في قيلهم ذلك.



**س: ندرك تمامًا أن الله يعلم الكاذب من الصادق، فكيف يوجَّه قوله تعالى: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾؟**

ج: نعم، الله يعلم ما كان وما سيكون وما هو كائن ويعلم كل شيء.

أما توجيه الآية الكريمة فمن العلماء من قال: إن قوله ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ﴾ معناه فليُظهرن وليُبينن.

وقال آخرون: إن المراد بالعلم، هو العلم الذي يترتب عليه الثواب والعقاب، والله أعلم.

**قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

والله عالم بذلك منهم قبل الاختبار، وفي حال الاختبار، وبعد الاختبار، ولكن معنى ذلك: ولَيُظْهِرَنَّ الله صدق الصادق منهم في قيله آمنا بالله من كذب الكاذب منهم بابتلائه إياه بعدوّه، ليعلم صدقه من كذبه أولياؤه، على نحو ما قد بيَّناه فيما مضى قبلُ.

**وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

والله سبحانه وتعالى يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف كان

يكون. وهذا مجمع عليه عند أئمة السنة والجماعة؛ ولهذا يقول ابن عباس وغيره في مثل: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ [البقرة: ١٤٣]: إلا لنرى؛ وذلك أن الرؤية إنما تتعلق بالموجود، والعلم أعم من الرؤية، فإنه يتعلق بالمعدوم والموجود.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ أي فليرين الله الذين صدقوا في إيمانهم وقد مضى هذا المعنى في (البقرة) وغيرها قال الزجاج: ليعلم صدق الصادق بوقوع صدقه منه وقد علم الصادق من الكاذب قبل أن يخلقهما ولكن القصد قصد وقوع العلم بما يجازى عليه وإنما يعلم صدق الصادق واقعًا كائنًا وقوعه، وقد علم أنه سيقع. وقال النحاس: فيه قولان: أحدهما: أن يكون ﴿صَدَقُوا﴾ مشتقًّا من الصدق و ﴿الْكَاذِبِينَ﴾ مشتقًّا من الكذب الذي هو ضد الصدق ويكون المعنى فليبينن الله الذين صدقوا فقالوا نحن مؤمنون واعتقدوا مثل ذلك والذين كذبوا حين اعتقدوا غير ذلك والقول الآخر: أن يكون صدقوا مشتقًّا من الصدق وهو الصلب والكاذبين مشتقًّا من كذب إذا انهزم فيكون المعنى فليعلمن الله الذي ثبتوا في الحرب والذين انهزموا.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم –: أفظن أهل الشرك الذين يشركون بالله فيسيئون إلى أنفسهم بذلك أشد الإساءة وأعظمها أنهم سيهربون منا ولا نستطيع إدراكهم ومن ثمَّ فلن نستطيع أن نحاسبهم ونعاقبهم، فإذا كان هذا هو حكمهم على الله بأنه يعجز عن إدراكهم فساء هذا الحكم الظالم الجائر الذي حكموا

به على الله أنه عاجز، وساء هذا الظن الذي ظنوه بالله ربهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أم حَسِبَ الذين يشركون بالله فيعبدون معه غيره، وهم المعنيون بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ﴾ يقول: أن يعجزونا فيفوتونا بأنفسهم، فلا نقدر عليهم فننتقم منهم لشركهم بالله.

وقوله: ﴿سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ساء حكمهم الذي يحكمون بأن هؤلاء الذين يعملون السيئات يسبقوننا بأنفسهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أي الشرك ﴿أَن يَسۡبِقُونَاۚ﴾ أي يفوتونا ويعجزونا قبل أن نؤاخذهم بما يفعلون.

وقال:

﴿سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ أي بئس الحكم ما حكموا في صفات ربهم أنه مسبوق والله القادر على كل شيء و ﴿مَا﴾ في موضع نصب بمعنى ساء شيئًا أو حكمًا يحكمون ويجوز أن تكون ﴿مَا﴾ في موضع رفع بمعنى ساء الشيء أوالحكم حكمهم وهذا قول الزجاج.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ أي: لا يحسبن الذين لم يدخلوا في الإيمان أنهم يتخلصون من هذه الفتنة والامتحان، فإن من ورائهم من العقوبة والنكال ما هو أغلظ من هذا وأطم؛ ولهذا قال: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ﴾ أي: يفوتونا، ﴿سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ أي: بئس ما يظنون.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝٥ وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ۝٦﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: من كان يعمل عملًا صالحًا ويرجو بعمله يومًا يلقى فيه ربَّه سبحانه وتعالى فيثيبه الله ويكافؤه على عمله ﴿فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾ أي: فإن الأجل الذي أجَّلَ الله العباد فيه للقائه لآتٍ لا محالة، وبإذن الله سيكافؤه ربَّه ويثيبه فهو سبحانه السميع لأقواله، والسميع لكل شيء والعليم بأحواله وبأحوال الخلق كلهم.

ألا ويعلم أن من جاهد فإن ثواب جهاده عائدٌ عليه، وليس يعود على الله من جهاد عبده المجاهد شيء، فالله غني عن كل خلقه، وكما في الحديث القدسي: «**يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا**».

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: من كان يرجو الله يوم لقائه، ويطمع في ثوابه، فإن أجل الله الذي أجله لبعث خلقه للجزاء والعقاب لآتٍ قريبًا، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ يقول: والله الذي يرجو هذا الراجي بلقائه ثوابه، السميع لقوله: آمنا بالله، العليم بصدق قيله، إنه قد آمن من كذبه فيه، وقوله: ﴿وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ يقول: ومن يجاهد عدوَّه من المشركين فإنما يجاهد لنفسه؛ لأنه يفعل ذلك ابتغاء الثواب من الله على جهاده، والهرب من العقاب، فليس بالله إلى فعله ذلك حاجة، وذلك أن الله غنيّ عن جميع خلقه، له الملك والخلق والأمر.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ﴾ أي: في الدار الآخرة، وعمل الصالحات

رجاء ما عند الله من الثواب الجزيل، فإن الله سيحقق له رجاءه ويوفيه عمله كاملًا موفورًا، فإن ذلك كائن لا محالة؛ لأنه سميع الدعاء، بصير بكل الكائنات؛ ولهذا قال: ﴿مَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

وقوله: ﴿وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ۚ﴾، كقوله: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ﴾ [فصلت: ٤٦] أي: من عمل صالحًا فإنما يعود نفع عمله على نفسه، فإن الله غني عن أفعال العباد، ولو كانوا كلهم على أتقى قلب رجل [واحد] منهم، ما زاد ذلك في ملكه شيئًا؛ ولهذا قال: ﴿وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾.

قال الحسن البصري: إن الرجل ليجاهد، وما ضرب يوما من الدهر بسيف.

**وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:**

قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾ ﴿يَرْجُوا﴾ بمعنى يخاف من قول الهذلي في وصف عسال:

**إذا لسعته النحل لم يرج لسعها**

وأجمع أهل التفسير على أن المعنى: من كان يخاف الموت فليعمل عملًا صالحًا فإنه لابد أن يأتيه، ذكره النحاس.

**قلت (مصطفى):** وإنني لأعجب من نقل القرطبي لهذا الإجماع، هذا، وقد دلت الأدلة القواطع على أن أهل الإيمان يرون ربهم عَزَّ وَجَلَّ يوم القيامة، ويلقونه عَزَّ وَجَلَّ.

**وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:**

قوله تعالى: ﴿وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ۚ﴾ أي ومن جاهد في الدين وصبر

على قتال الكفار وأعمال الطاعات فإنما يسعى لنفسه أي ثواب ذلك كله له ولا يرجع إلى الله نفع من ذلك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ أي عن أعمالهم وقيل: المعنى من جاهد عدوه لنفسه لا يريد وجه الله فليس لله حاجة بجهاده.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٧﴾؟

ج: المعنى –والله أعلم–: إن الذين آمنوا بالله ورسله وآمنوا بما أوجب الله عليهم أن يؤمنوا به، وصاحبوا ذلك بصالح الأعمال لنمحون عنهم سيئاتهم التي ارتكبوها وذلك؛ لأنهم ليسوا بمعصومين، فمن ثمَّ تصدر منهم - وإن كانوا مؤمنين –أعمالٌ تسؤهم فيغفرها الله لهم، ويجازيهم على صالح أعمالهم أفضل الجزاء وخير الجزاء أضعافًا مضاعفة.

هذا، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن المراد بقوله تعالى: ﴿لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ أي: تلك التي عملوها أثناء شركهم، وقت أن كانوا مشركين قبل أن يُسلموا، وأيضًا فقد حمل قوله تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي: على العمل الصالح الذي عملوه وقت أن كانوا مشركين، وهذا اختيار الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأراه قد قصَّر في هذا الاختيار الذي ذهب إليه، وإنما تكفير السيئات عامٌّ، سواء التي ارتكبها أثناء كفره أو التي فعلها بعد إسلامه، وأما عن الأعمال الصالحة التي عملها في شركه[1] فقد قال النبي ﷺ: «**أسلمت على ما أسلفت من خير**».

أما ما عمله من عمل صالح بعد إسلامه، وكان يبتغي به وجه الله فالله عَزَّ وَجَلَّ

(١) ومعلوم أنه إذا مات مشركًا فقد حبط كلُّ عمله.

يُجازيه عليه أحسن الجزاء وأفضله والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: والذين آمنوا بالله ورسوله، فصحّ إيمانهم عند ابتلاء الله إياهم وفتنته لهم، ولم يرتدّوا عن أديانهم بأذى المشركين إياهم ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ التي سلفت منهم في شركهم ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ يقول: ولنثيبنهم على صالحات أعمالهم في إسلامهم، أحسن ما كانوا يعملون في حال شركهم مع تكفيرنا سيئات أعمالهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي صدقوا ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ أي: لنغطينها عنهم بالمغفرة لهم ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي: بأحسن أعمالهم وهو الطاعات ثم قيل: يحتمل أن تكفر عنهم كل معصية عملوها في الشرك ويُثابوا على ما عملوا من حسنة في الإسلام ويحتمل أن تكفر عنهم سيئاتهم في الكفر والإسلام ويُثابوا على حسناتهم في الكفر والإسلام.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم أخبر أنه مع غناه عن الخلائق جميعهم من إحسانه وبِرِّه بهم يُجازي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أحسن الجزاء، وهو أنه يكفر عنهم أسوأ الذي عملوا، ويجزيهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون، فيقبل القليل من الحسنات، ويُثيب عليها الواحدة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، ويجزي على السيئة بمثلها أو يعفو ويصفح، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]، وقال هاهنا:

### قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا
تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ ٩ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ
أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا
كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ١١ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ
ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن
شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٢ وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ
يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ١٣ ﴾ [العنكبوت: ٨-١٣]

س: وضِّح معنى ما يلي:

﴿وَوَصَّيْنَا - حُسْنًا - جَٰهَدَاكَ - أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ - فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ - سَبِيلَنَا - وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ - أَثْقَالَهُمْ - يَفْتَرُونَ﴾؟

ج:

| الكلمة | معناها |
|---|---|
| ﴿وَوَصَّيْنَا﴾ | أمرنا |
| ﴿حُسْنًا﴾ | خيرًا – إحسانًا |
| ﴿جَٰهَدَاكَ﴾ | اجتهدا عليك – حارباك |
| ﴿أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ﴾ | عُذِّب لكونه قال لا إله إلا الله، أُوذي لكونه يرفع كلمة لا إله إلا الله |
| ﴿فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ﴾ | تعذيب الناس له لصرفه عن دينه |
| ﴿سَبِيلَنَا﴾ | طريقنا في تديننا وتعبدنا – ديننا |
| ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ | لنحمل آثام ذنوبكم |
| ﴿أَثْقَالَهُمْ﴾ | إثم ذنوبهم |
| ﴿يَفْتَرُونَ﴾ | يكذبون – يختلقون |



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم –: وأمرنا الإنسان ووصيناه أن يُحسن إلى والديه،

وأن يفعل بهما خيرًا ووصيناه أن يفعل معهما حسنًا أي خيرًا، وإن حارباك واجتهدا عليك كي تجعل لي شريكًا، وأنت لا علم لك بأن لي شريكًا، بل تعلم أنني إلهٌ واحد فإن اجتهدا كي تجعل لي شريكًا وتعبده معي فلا تطعهما وإليّ يوم القيامة مرجعكم ومآبكم فأخبركم بما كنتم تعملون في دنياكم.

**قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:**

**يقول تعالى ذكره:** ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ فيما أنزلنا إلى رسولنا ﴿بِوَٰلِدَيْهِ﴾ أن يفعل بهما ﴿حُسْنًا ۖ﴾.

واختلف أهل العربية في وجه نصب الحسن، فقال بعض نحويِّي البصرة: نُصب ذلك على نية تكرير وصيّنا. وكأن معنى الكلام عنده: ووصينا الإنسان بوالديه، ووصيناه حسنًا. وقال: قد يقول الرجل وصيته خيرًا: أي بخير.

**وقوله:** ﴿وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ﴾ يقول: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ﴾، فقلنا له: إن جاهداك والداك لتشرك بي ما ليس لك به علم أنه ليس لي شريك، فلا تطعهما فتشرك بي ما ليس لك به علم ابتغاء مرضاتهما، ولكن خالفهما في ذلك ﴿إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: إليّ معادكم ومصيركم يوم القيامة ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يقول: فأخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا من صالح الأعمال وسيئاتها، ثم أُجازيكم عليها المحسن بالإحسان، والمسيء بما هو أهله.

**وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:**

يقول تعالى آمرًا عباده بالإحسان إلى الوالدين بعد الحثِّ على التمسك بتوحيده، فإن الوالدين هما سبب وجود الإنسان، ولهما عليه غاية الإحسان، فالوالد بالإنفاق والوالدة بالإشفاق؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟

﴿إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

ومع هذه الوصية بالرأفة والرحمة والإحسان إليهما، في مقابلة إحسانهما المتقدم ، قال: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾ أي : وإن حَرَصا عليك أن تتابعهما على دينهما إذا كانا مشركين، فإياك وإياهما، لا تطعهما في ذلك، فإن مرجعكم إلي يوم القيامة، فأجزيك بإحسانك إليهما، وصبرك على دينك، وأحشرك مع الصالحين لا في زمرة والديك، وإن كنت أقرب الناس إليهما في الدنيا، فإن المرء إنما يحشر يوم القيامة مع مَنْ أحب، أي: حُبًّا دينيًّا؛ ولهذا قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.



س: اذكر سبب نزول هذه الآية الكريمة: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾؟

ج: أخرج مسلم[1] في صحيحه من حديث سَعْد بن أبي وقاص رضي الله عنه أَنَّهُ نَزَلَتْ فِيهِ آيَاتٌ مِنَ الْقُرْآنِ قَالَ: حَلَفَتْ أُمُّ سَعْدٍ أَنْ لَا تُكَلِّمَهُ أَبَدًا حَتَّى يَكْفُرَ بِدِينِهِ. وَلَا تَأْكُلَ وَلَا تَشْرَبَ. قَالَتْ: زَعَمْتَ أَنَّ اللهَ وَصَّاكَ بِوَالِدَيْكَ. وَأَنَا أُمُّكَ. وَأَنَا آمُرُكَ بِهَذَا.

قَالَ: مَكَثَتْ ثَلَاثًا حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْجَهْدِ. فَقَامَ ابْنٌ لَهَا يُقَالُ لَهُ: عُمَارَةُ فَسَقَاهَا. فَجَعَلَتْ تَدْعُو عَلَى سَعْدٍ. فَأَنْزَلَ اللهُ عز وجل فِي الْقُرْآنِ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي﴾ [لقمان: ١٥] وَفِيهَا: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾.

(١) مسلم حديث (١٧٤٨).



## إنما الطاعة في المعروف

س: هل طاعة الوالدين مطلقة؟

ج: لا، بل هي في المعروف، أخرج البخاري ومسلم[(١)] من حديث عَلِيٍّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ جَيْشًا وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا فَأَوْقَدَ نَارًا وَقَالَ: ادْخُلُوهَا فَأَرَادُوا أَنْ يَدْخُلُوهَا. وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّمَا فَرَرْنَا مِنْهَا فَذَكَرُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لِلَّذِينَ أَرَادُوا أَنْ يَدْخُلُوهَا: «**لَوْ دَخَلُوهَا لَمْ يَزَالُوا فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**» وَقَالَ لِلْآخَرِينَ: «**لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةٍ إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ**»[(٢)].



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم–: والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فيما أدخلنا فيه الصالحين، ألا وهي الجنة فالمعني لندخلنهم مع الصالحين الجنة.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله ورسوله ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ من الأعمال، وذلك أن يُؤَدُّوا فرائض الله، ويجتنبوا محارمه ﴿لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾

---

(١) أخرجه البخاري مع «الفتح» (١٣/ ٢٣٣)، ومسلم (١٨٤٠).

(٢) وصح عن النبي ﷺ كما في البخاري (١٣/ ١٢١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»، وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

في مَدْخل الصالحين، وذلك الجنة.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: ومن الناس من يقول آمنا بالله وصدقنا رسل الله فيُعلنون إيمانهم فإذا ابتلوا بسبب قولهم هذا- ابتلاهم أهل الكفر وعذبوهم حتى يرجعوا عن إسلامهم – رجعوا عن الإسلام وتركوه وجعلوا فتنة الناس (تعذيب الناس لهم) كعذاب الله يوم القيامة، فاستهانوا بالآخرة وكفروا فرارًا من عذاب الدنيا، أما إذا نصر الله رسوله ﷺ ونصر أهل الإيمان، فإذا بهؤلاء المنافقين الذين كفروا وارتدوا، إذا بهم يقولون لأهل الإيمان، رغبةً منهم في مشاركتهم الغنائم، وفي النيل من خيراتهم، إنا كنا معكم ننصركم على عدوكم وندافع عنكم، فقال تعالى لهؤلاء ولغيرهم، أليس الله بأعلم منكم بما في صدور الخلق كلهم، وهو أعلم بأهل النفاق ومرادهم، فإن كانوا يحاولون غش المسلمين وخداعهم فالله يعلمهم ويعلم ما في قلوبهم وسيجازيهم على ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ومن الناس من يقول: أقررنا بالله فوحَّدناه، فإذَا آذاه المشركون في إقراره بالله، جعل فتنة الناس إياه في الدنيا، كعذاب الله في الآخرة، فارتدّ عن إيمانه بالله، راجعًا على الكفر به ﴿وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ يا محمد؛ أهل الإيمان به ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ هؤلاء المرتدّون عن إيمانهم، الجاعلون فتنة

الناس كعذاب الله ﴿إِنَّا كُنَّا﴾ أيها المؤمنون ﴿مَعَكُمْ﴾ ننصركم على أعدائكم، كذبًا وإفكًا، يقول الله: ﴿أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ﴾ أيها القوم من كلّ أحد ﴿بِمَا فِي صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ جميع خلقه، القائلين آمنا بالله وغيرهم، فإذا أُوذِي في الله ارتد عن دين الله فكيف يخادع من كان لا يخفى عليه خافية، ولا يستتر عنه سرًّا ولا علانية.

**وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:**

يقول تعالى مخبراً عن صفات قوم من المكذبين الذين يدعون الإيمان بألسنتهم، ولم يثبت الإيمان في قلوبهم، بأنهم إذا جاءتهم فتنة ومحنة في الدنيا، اعتقدوا أن هذا من نقمة الله تعالى بهم، فارتدوا عن الإسلام؛ ولهذا قال: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾.

قال ابن عباس: يعني فتنته أن يرتد عن دينه إذا أوذي في الله. وكذا قال غيره من علماء السلف. وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [الحج: ١١].

ثم قال: ﴿وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ أي: ولئن جاء نصر قريب من ربك -يا محمد -وفتح ومغانم، ليقولن هؤلاء لكم: إنا كنا معكم، أي إخوانكم في الدين، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النساء: ١٤١]، وقال تعالى: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥٢].

وقال تعالى مخبراً عنهم هاهنا: ﴿وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا

مَعَكُمۡۚ﴾، ثم قال تعالى: ﴿أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ أي: أوليس الله بأعلم بما في قلوبهم، وما تكنُّه ضمائرهم، وإن أظهروا لكم الموافقة؟

**وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ الآية نزلت في المنافقين كانوا يقولون آمنا بالله ﴿فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ﴾ أي أذاهم ﴿كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ في الآخرة فارتد عن إيمانه. وقيل: جزع من ذلك كما يجزع من عذاب الله ولا يصبر على الأذية في الله ﴿وَلَئِن جَآءَ﴾ المؤمنين ﴿نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ﴾ هؤلاء المرتدون ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ﴾ وهم كاذبون فقال الله لهم: ﴿أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ يعني الله أعلم بما في صدورهم منهم بأنفسهم.

**قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان):**

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾.

يعني أن من الناس من يقول: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ بلسانه، ﴿فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ﴾، أي: آذاه الكفار إيذاءهم للمسلمين جعل فتنة الناس صارفة له عن الدين إلى الرّدة -والعياذ بالله- كعذاب الله فإنه صارف رادع عن الكفر والمعاصي. ومعنى ﴿فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ﴾، الأذى الذي يصيبه من الكفار، وإيذاء الكفار للمؤمنين من أنواع الابتلاء الذي هو الفتنة، وهذا قال به غير واحد.

وعليه فمعنى الآية الكريمة؛ كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الحج: ١١].

قوله تعالى: ﴿وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ﴾.

ذكر جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة أن المنافقين الذين يقولون: آمنّا بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم، إذا حصل للمسلمين من الكفار أذى، وهم معهم جعلوا فتنة الناس، أي: أذاهم كعذاب الله، وأنه إن جاء نصر من الله لعباده المؤمنين فنصرهم على الكفار، وهزموهم وغنموا منهم الغنائم، قال أولئك المنافقون: ألم نكن معكم، يعنون: أنهم مع المؤمنين ومن جملتهم، يريدون أخذ نصيبهم من الغنائم.

وهذا المعنى جاء في آيات أُخر من كتاب الله؛ كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤١]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ [النساء: ٧٢، ٧٣]، وقد قدّمنا طرفًا من هذا في سورة «النساء».

وقد بيَّن تعالى أنهم كاذبون في قولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾، وبيَّن أنه عالم بما تخفى صدورهم من الكفر والنفاق، بقوله: ﴿أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم-: وليُظهرن الله إيمان الذين آمنوا وصدقهم، وذلك بما يبتليهم به من الأمور فيظهر صدقهم وكذا وليظهرن المنافقين، ليظهرن الله نفاقهم حتى يعلمه ما لم يكن يعلمه.

هذا، ومن العلماء من قال: إن العلم هنا هو العلم الذي ينبني عليه الثواب والعقاب، أي: ليظهرن الله من أفعال أهل الإيمان ما به يعظم أجورهم ويجزل لهم الثواب وليظهرن الله أمر أهل النفاق بما يوجب تعذيبهم، فالله أعلم.

**قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

**يقول تعالى ذكره:** ﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ﴾ أولياء الله، وحزبه أهل الإيمان بالله منكم أيها القوم، وليعلمنّ المنافقين منكم حتى يميزوا كلّ فريق منكم من الفريق الآخر، بإظهار الله ذلك منكم بالمحن والابتلاء والاختبار وبمسارعة المسارع منكم إلى الهجرة من دار الشرك إلى دار الإسلام، وتثاقل المتثاقل منكم عنها.

**وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

وقوله: ﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ أي: وليختبرنّ الله الناس بالضراء والسراء، ليتميز هؤلاء من هؤلاء، ومن يطيع الله في الضراء والسراء، ومن إنما يطيعه في حظ نفسه، كما قال تعالى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ﴾ [محمد: ٣١]، وقال تعالى بعد وقعة أحد، التي كان فيها ما كان من الاختبار والامتحان: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ الآية [آل عمران: ١٧٩].



**س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٢﴾.**

ج: المعنى –والله أعلم– أن أهل الكفر قالوا لأهل الإيمان: اتركوا ما أنتم عليه من الإيمان واسلكوا طريقنا طريق الزَّيغ والضلال، وإن كان هناك تبعات

وآثام وأوزار فإنا نتحملها عنكم، فكذبهم الله في قيلهم ذلك، إذ قال وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء، إنهم لكاذبون في أنهم يحملون خطاياهم ويتركونهم بلا خطايا.

هذا، وليس معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيْءٍ﴾ أنهم لن يتحملوا إثم إغوائهم، بل سيتحملوا إثم إغوائهم بدليل الآية التي بعدها – وسيأتي شرحها– وإنما معنى قوله: ﴿وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيْءٍ﴾ هو الذي قدمناه من كونهم لن يحملوا خطاياهم ويتركونهم بلا خطايا، بل سيحملون خطايا إغوائهم، فضلًا عن كون الآخرين سيحملون خطايا أنفسهم هم الآخرون، والله أعلم.

**قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

**يقول تعالى ذكره:** وقال الذين كفروا بالله من قريش للذين آمنوا بالله منهم ﴿ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا﴾ يقول: قالوا: كونوا على مثل ما نحن عليه من التكذيب بالبعث بعد الممات وجحود الثواب والعقاب على الأعمال ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ يقول: قالوا فإنكم إن اتبعتم سبيلنا في ذلك، فبعثتم من بعد الممات، وجوزيتم على الأعمال، فإنا نتحمل آثام خطاياكم حينئذٍ.

وهذا –أعني قوله–: ﴿ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ وإن كان خرج مخرج الأمر، فإن فيه تأويل الجزاء، ومعناه ما قلت: إن اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم، كما قال الشاعر:

فَقُلْتُ ادْعِي وأدْعُ فإنَّ أنْدَى ... لِصَوْتٍ أنْ يُنادِيَ دَاعيانِ

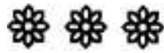
يريد: ادعي ولأدع، ومعناه: إن دعوت دعوت.

وقوله: ﴿وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ وهذا تكذيب

من الله للمشركين القائلين للذين آمنوا ﴿ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَـٰيَـٰكُمْ﴾ يقول جلّ ثناؤه: وكذبوا في قيلهم ذلك لهم، ما هم بحاملين من آثام خطاياهم من شيء، إنهم لكاذبون فيما قالوا لهم ووعدوهم، من حمل خطاياهم إن هم اتبعوهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا عن كفار قريش: أنهم قالوا لِمَنْ آمن منهم واتبع الهدى: ارجعوا عن دينكم إلى ديننا، واتبعوا سبيلنا، ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَـٰيَـٰكُمْ﴾ أي: وآثامكم -إن كانت لكم آثام في ذلك -علينا وفي رقابنا، كما يقول القائل: «افعل هذا وخطيئتك في رقبتي». قال الله تكذيبًا لهم: ﴿وَمَا هُم بِحَـٰمِلِينَ مِنْ خَطَـٰيَـٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾ أي: فيما قالوه: إنهم يحملون عن أولئك خطاياهم، فإنه لا يحمل أحد وزر أحد، ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ [فاطر: ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ [المعارج: ١٠، ١١].



## الداعي إلى ضلال يتحمل إثم من أغواه

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: وليحملن أهل الكفر إثم كفرهم وضلالهم، وكذا وليحملن إثم إضلال من أضلوه وإغواء من أغووه وليسئلن يوم القيامة عن كذبهم في قيلهم: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَـٰيَـٰكُمْ﴾ وكذا على افترائهم على الله ودعواهم أن الله له شريك، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

**يقول تعالى ذكره:** وليحملنّ هؤلاء المشركون بالله القائلون للذين آمنوا به اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم أوزار أنفسهم وآثامها، وأوزار من أضلوا وصدّوا عن سبيل الله مع أوزارهم، وليسألن يوم القيامة عما كانوا يكذّبونهم في الدنيا بوعدهم إياهم الأباطيل، وقيلهم لهم: اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم فيفترون الكذب بذلك.

**وأورد بإسنادٍ حسن عن قَتادة:** ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾ أي أوزارهم ﴿وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ يقول: أوزار من أضلوا.

**وبإسناد صحيح عن ابن زيد،** في قوله: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾. وقرأ قوله: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥] قال: فهذا قوله: وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾.

**وقال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾: إخبار عن الدعاة إلى الكفر والضلالة، أنهم يوم القيامة يحملون أوزار أنفسهم، وأوزارًا أخر بسبب مَنْ أضلوا مِنَ الناس، من غير أن ينقص من أوزار أولئك شيئا، كما قال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥].

وفي الصحيح: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه إلى يوم القيامة، من غير أن ينقص من أجورهم شيئا، وَمَنْ دعا إلى ضلالة كان عليه مِنَ الإثم مثل آثام مَنِ اتبعه إلى يوم القيامة، من غير أن ينقص من آثامهم شيئا**».

وفي الصحيح: «**ما قتلت نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها؛ لأنه أول من سَنّ القتل**».

وقوله: ﴿وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ أي: يكذبون ويختلقون من البهتان.

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

( وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ
ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً
لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن
كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ
إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ
وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن
قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ
ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟
كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ
﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم
بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ
﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ
لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ
فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا

ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ
يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا
لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ
هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ
وَٱلۡكِتَٰبَ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾

[العنكبوت: ١٤-٢٧].

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ - ٱلطُّوفَانُ - ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ - وَٱتَّقُوهُ - أَوْثَٰنًا - وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا - فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ - ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ - يُبْدِئُ - يُعِيدُهُۥ - ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ - تُقْلَبُونَ - بِمُعْجِزِينَ - وَلِيٍّ - نَصِيرٍ - يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى - مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ - يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ - مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾؟

ج:

| الكلمة | معناها |
|---|---|
| ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ﴾ | مكث فيهم – عاش بينهم |
| ﴿ٱلطُّوفَانُ﴾ | السيل الشديد والمطر الجارف والمياه المدمرة |
| ﴿ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ | علامة للخلق على قدرتنا على إهلاك عدونا وإنجاء أوليائنا، وكذا على وحدانيتنا |
| ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾ | اجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية |
| ﴿أَوْثَٰنًا﴾ | أصنامًا |
| ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ | تقولون كذبًا – تصنعون كذبًا – تصنعون أصنامًا تصرفون بها الناس عن عبادة الله ﷻ |
| ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾ | اطلبوا الرزق من عند الله |
| ﴿ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ | تبليغ ما أمره الله بتبليغه تبليغًا واضحًا ظاهرًا مظهرًا الحقائق |

| | |
|---|---|
| ﴿يُبۡدِئُ﴾ | يخلق لأول مرة |
| ﴿يُعِيدُهُۥٓ﴾ | يبعثه يوم القيامة |
| ﴿ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾ | البعث الآخر يوم القيامة |
| ﴿تُقۡلَبُونَ﴾ | ترجعون |
| ﴿بِمُعۡجِزِينَ﴾ | بفائتين – بهاربين |
| ﴿وَلِيّٖ﴾ | مَن يتولاكم ويرعاكم |
| ﴿نَصِيرٖ﴾ | من ينصركم |
| ﴿يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي﴾ | انقطع أملهم في حصول الرحمة بهم |
| ﴿مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ﴾ | توادداً بينكم ومجاملةً من بعضكم لبعض تطلبون بذلك رضا بعضكم على بعض |
| ﴿يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ﴾ | يجحد بعضكم قدرة بعض على انقاذه، يجحد بعضكم عبادة بعض وطاعة بعض وصداقة بعض، تلك التي كانت بينهم في الدنيا |
| ﴿مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ | تارك بلادي وذاهب إلى بلاد أخرى لعبادة ربي ﷻ |



## شيء من قصة نوح عليه السلام

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ١٤ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلۡنَٰهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٥﴾.

ج: هـذا – والله أعلـم – تبصيرٌ للنبـي ﷺ علـى أذى قومـه وتكـذيبهم لله، وكذا فإنه تحذير لأهل الكفر من الشقاق والعناد.

وحاصل ذلك أننا أرسلنا نوحًا عليه السلام، وهـو أول رسـول إلـى أهـل الأرض أرسلناه إلى قومه الذين كانوا يعبدون الأوثان، كي يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له فلبث فيهم يدعوهم تسعمائة وخمسين عامًا، وأغلبهم يكذب ويجحد ويسخر ويستهزئ، ويذهب منهم جيلٌ ويأتي آخر أشد ضلالًا وأضل سبيلًا فكانت عاقبة أمرهم أن أرسل الله عليهم الطوفان وأغرقهم جميعًا، أما نوح عليه السلام، وكذا من معه من أهل الإيمان الذين حملهم معه في السفينة فقد أنجاهم الله وسلمهم وأبقى السفينة كدلالة للخلق من بعد نوح عليه السلام على قدرة الله على الانتقام من أهل الظلم وعلى الانتصار لأهل الإيمان، كما قال تعالى في شأن تلك السفينة ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٥].

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

وهذا وعيد من الله تعالى ذكره هؤلاء المشركين من قريش، القائلين للذين آمنوا: اتبعوا سبيلَنا، ولنحمل خطاياكم، يقول لنبيه محمد ﷺ: لا يحزننك يا محمد ما تلقى من هؤلاء المشركين أنت وأصحابك من الأذى، فإني وإن أمليت لهم فأطلت إملاءهم، فإن مصير أمرهم إلى البوار، ومصير أمرك وأمر أصحابك إلى العلوّ والظفر بهم، والنجاة مما يحلّ بهم من العقاب، كفعلنا ذلك بنوح، إذ أرسلناه إلى قومه، فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى التوحيد، وفراق الآلهة والأوثان، فلم يزدهم ذلك من دعائه إياهم إلى الله من الإقبال إليه، وقبول ما أتاهم به من النصيحة من عند الله إلا فرارًا.

**وأورد بإسناد حسن عن قَتادة:** ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾ قال: هو الماء الذي أرسل عليهم.

وقوله: ﴿وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ﴾ يقول: وهم ظالمون أنفسهم بكفرهم.

وقال: في تأويل قوله تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَصْحَـٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَـٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾.

يقول تعالى ذكره: فأنجينا نوحا وأصحاب سفينته، وهم الذين حملهم في سفينته من ولده وأزواجهم.

﴿وَجَعَلْنَـٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ يقول: وجعلنا السفينة التي أنجيناه وأصحابه فيها عبرة وعظة للعالمين، وحجة عليهم.

**وأورد بإسناد حسن عن قَتادة،** قال: قوله: ﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَصْحَـٰبَ ٱلسَّفِينَةِ ...﴾ الآية. قال: أبقاها الله آية للناس بأعلى الجوديّ.

**قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

ولو قيل: معنى ﴿وَجَعَلْنَـٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ وجعلنا عقوبتنا إياهم آية للعالمين، وجعل الهاء والألف في قوله: ﴿وَجَعَلْنَـٰهَآ﴾ كناية عن العقوبة أو السخط، ونحو ذلك، إذ كان قد تقدم ذلك في قوله: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ﴾ كان وجها من التأويل.

**وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

هذه تسلية من الله تعالى لعبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه، يخبره عن نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: أنه مكث في قومه هذه المدة يدعوهم إلى الله ليلًا ونهارًا، وسرًّا، وإجهارًا، ومع هذا ما زادهم ذلك إلا فرارا عن الحق، وإعراضا عنه وتكذيبا له، وما آمن معه منهم إلا قليل؛ ولهذا قال: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا

خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ أي: بعد هذه المدة الطويلة ما نجع فيهم البلاغ والإنذار، فأنت -يا محمد- لا تأسف على مَنْ كفر بك من قومك، ولا تحزن عليهم؛ فإن الله يهدي مَنْ يشاء ويضل مَنْ يشاء، وبيده الأمر وإليه ترجع الأمور، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٦، ٩٧]، واعلم أن الله سيظهرك وينصرك ويؤيدك، ويذل عدوّك، ويكبتهم ويجعلهم أسفل السافلين.

**وقوله:** ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾ أي: الذين آمنوا بنوح عليه السلام. وقد تقدَّم ذكر ذلك مفصلا في سورة «هود»، وتقدَّم تفسيره بما أغنى عن إعادته.

**وقوله:** ﴿وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: وجعلنا تلك السفينة باقية، إما عينها كما قال قتادة: إنها بقيت إلى أول الإسلام على جبل الجودي، أو نوعها جعله للناس تذكرة لنعمه على الخلق، كيف نجاهم زمن الطوفان، كما قال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يس: ٤١- ٤٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١١، ١٢]، وقال هاهنا: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾، وهذا من باب التدريج من الشخص إلى الجنس، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥] أي: وجعلنا نوعها، فإن التي يرمى بها ليست هي التي زينة للسماء. وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢، ١٣]، ولهذا نظائر كثيرة.



## شيء من قصة نبي اللّه وخليله إبراهيم عليه السلام

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: واذكر يا رسول الله نبي الله إبراهيم عليه السلام، وقوله لقومه ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أخلصوا له العبادة، ولا تشركوا معه شيئًا ولا تعبدوا إلهًا غيره، واجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية بتوحيدكم وصلاتكم وغير ذلك من الطاعات ذلكم التوحيد وعبادة الله وحده لا شريك له خيرٌ لكم من الشرك والكفر إن كنتم تعلمون.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: واذكر أيضًا يا محمد إبراهيم خليل الرحمن، إذ قال لقومه: اعبدوا الله أيها القوم دون غيره من الأوثان والأصنام، فإنه لا إله لكم غيره، ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾ يقول: واتقوا سخطه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ما هو خير لكم مما هو شرّ لكم.

وقال ابن كثير رحمه الله:

يخبر تعالى عن عبده ورسوله وخليله إبراهيم إمام الحنفاء: أنه دعا قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والإخلاص له في التقوى، وطلب الرزق منه وحده لا شريك له، وتوحيده في الشكر، فإنه المشكور على النعم، لا مُسْدٍ لها غيره، فقال لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ﴾ أي: أخلصوا له في العبادة والخوف، ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: إذا فعلتم ذلك حصل لكم الخير في

الدنيا والآخرة، واندفع عنكم الشر في الدنيا والآخرة.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم –: أن إبراهيم عليه السلام قال لقومه موبِّخًا لهم ومُذكرًا، إن الذي تعبدونه من دون الله إنما هي أصنام لا تنفع ولا تضر، وإنكم تصنعون كذبًا وتنحتون أصنامًا وتعبدونها وتختلقون الكذب أنها آلهة مع الله، ألا فاعلموا أن تلك الآلهة التي تعبدونها من دون الله لا تملك لكم رزقًا، فاطلبوا الرزق من الله فهو الرزاق ذو القوة المتين، وأخلصوا لله في عبادته، فاعبدوه وحده لا شريك له، وقدموا له شكرًا على نعمه التي لا يحصيها إلا هو فإلى الله مرجعكم ومآبكم يوم القيامة وسيجازي كلًّا بعمله، والله أعلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل خليله إبراهيم لقومه: إنما تعبدون أيها القوم من دون الله أوثانًا، يعني: مُثُلًا.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قَتادة، قوله: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا﴾ أصنامًا.

ثم قال الطبري رحمه الله:

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ﴾ فقال بعضهم: معناه: وتصنعون كذبًا.

وقال آخرون: وتقولون كذبًا.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وتنحِتون إفكًا.

وأورد عن قَتادة بسند حسن: ﴿وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ﴾ أي: تصنعون أصنامًا.

وعن ابن زيد بسند صحيح: ﴿وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ﴾ الأوثان التي تعبدونها.

قال الطبري:

وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: معناه: وتصنعون كذبًا.

قال الطبري أيضًا:

فتأويل الكلام إذن: إنما تعبدون من دون الله أوثانا، وتصنعون كذبا وباطلا. وإنما في قوله: ﴿إِفۡكًاۚ﴾ مردود على إنما، كقول القائل: إنما تفعلون كذا، وإنما تفعلون كذا. وقرأ جميع قرّاء الأمصار: ﴿وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ﴾ بتخفيف الخاء من قوله: ﴿وَتَخۡلُقُونَ﴾ وَضَمَّ اللام: من الخَلْق. وذُكر عن أبي عبد الرحمن السُلميّ أنه قرأ: (**وَتَخَلَّقُونَ إِفْكًا**) بفتح الخاء وتشديد اللام، من التخليق.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قرّاء الأمصار، لإجماع الحجة من القرّاء عليه.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا﴾ يقول جلّ ثناؤه: إن أوثانكم التي تعبدونها، لا تقدر أن ترزقكم شيئًا ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ﴾ يقول: فالتمسوا عند الله الرزق لا من عند أوثانكم، تدركوا ما تبتغون من ذلك ﴿وَٱعۡبُدُوهُ﴾ يقول: وذلوا له ﴿وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ﴾ على رزقه إياكم، ونعمه التي أنعمها عليكم، يقال: شكرته وشكرتُ له، أفصح من شكرته. وقوله: ﴿إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ يقول: إلى الله تُرَدّون من بعد مماتكم، فيسألكم عما أنتم عليه من عبادتكم غيره وأنتم عباده وخلقه، وفي نعمه تتقلَّبون، ورزقه تأكلون.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم أخبرهم أن الأصنام التي يعبدونها والأوثان، لا تضر ولا تنفع، وإنما اختلقتم أنتم لها أسماء، سميتموها آلهة، وإنما هي مخلوقة مثلكم. هكذا روى العوفي عن ابن عباس. وبه قال مجاهد، والسدي.

وروى الوالبي، عن ابن عباس: وتصنعون إفكًا، أي: تنحتونها أصنامًا. وبه قال مجاهد -في رواية -وعكرمة، والحسن، وقتادة وغيرهم، واختاره ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ.

وهي لا تملك لهم رزقا، ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ﴾ وهذا أبلغ في الحصر، كقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١]، ولهذا قال: ﴿فَٱبۡتَغُواْ﴾ أي: فاطلبوا ﴿عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ﴾ أي: لا تعبدوا غيره، فإن غيره لا يملك شيئًا، ﴿وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ﴾ أي: كلوا من رزقه واعبدوه وحده، واشكروا له على ما أنعم به عليكم، ﴿إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ أي: يوم القيامة، فيجازي كل عامل بعمله.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٨﴾؟

ج: هذا – والله أعلم – قول إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه بعد أن بيَّن لهم بطلان ما هم عليه، فقال وإن تكذبوا فلستم بأول من كذب، ولكم عبرةٌ بالذي حلَّ بالمكذبين من قبلكم فقد أهلكناهم ودمرناهم كما صنعنا بقوم نوحٍ وعادٍ وثمود، فانتظروا أن يحلَّ بكم مثل ما حلَّ بهم، أما رسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فما عليه إلا أن يبلغكم ما أمر بتبليغه، يبلغكم إياه بلاغًا واضحًا لا لبس فيه ولا غموض، بلاغًا يبين لكم أن ما أنتم عليه باطل، وأن الذي يدعوكم إليه هو الحق.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وإن تكذِّبوا أيها الناس رسولنا محمدًا ﷺ فيما دعاكم إليه من عبادة ربكم الذي خلقكم ورزقكم، والبراءة من الأوثان، فقد كَذَّبت جماعات من قبلكم رسلَها فيما دعتهم إليه الرسل من الحقّ، فحلّ بها من الله سخطه، ونزل بها منه عاجل عقوبته، فسبيلكم سبيلها فيما هو نازل بكم بتكذيبكم إياه ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ يقول: وما على محمد إلا أن يبلِّغكم عن الله رسالته، ويؤدي إليكم ما أَمَره بأدائه إليكم ربُّه. ويعني بالبلاغ المبين: الذي يُبين لمن سمعه ما يراد به، ويفهم به ما يعني به.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ أي: فبلغكم ما حل بهم من العذاب والنكال في مخالفة الرسل، ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ يعني: إنما على الرسول أن يبلغكم ما أمره الله تعالى به من الرسالة، والله يضل مَنْ يشاء ويهدي مَنْ يشاء، فاحرصوا لأنفسكم أن تكونوا من السعداء.

وقال قتادة في قوله: ﴿وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ قال: يُعزي نبيه ﷺ. وهذا من قتادة يقتضي أنه قد انقطع الكلام الأول، واعترض بهذا إلى قوله: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾. وهكذا نص على ذلك ابن جرير أيضًا.

والظاهر من السياق أن كل هذا من كلام إبراهيم الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يحتج عليهم لإثبات المعاد؛ لقوله بعد هذا كله: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾، والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: أولم ينظر هؤلاء المكذبون بالبعث المنكرون للقيامة والثواب والعقاب، أولم ينظروا إلى أنفسهم وما حولهم من المخلوقات فيستدلوا بها على قدرة الله ﷻ على إحيائهم بعد إماتتهم وعلى بعثهم بعد فنائهم، أنهم يرون أمام أعينهم كيف يبدئ الله الخلق، إذ الله يخلقهم من نطفة من منيٍّ يُمنى ثم من علقة ثم من مضغة ثم يخرجهم طفلًا ثم يقوي أمرهم ثم يعودون ضُعفاء ثم يموتون ويصبحون ترابًا، فالذي خلقهم وأماتهم قادر على بعثهم وإعادتهم، وكذا خلق سائر المخلوقات دجاجة تبيض بيضة ثم يخرج من البيضة فرخ صغير وينمو ويكبر ثم تموت تلك الدجاجة وتفنى، وكذا سائر المخلوقات فالذي فعل بها ذلك قادرٌ على البعث بعد الموت فهو (أي البعث) أيسر عليه وأسهل.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أولم يروا كيف يستأنف الله خلق الأشياء طفلًا صغيرًا، ثم غلامًا يافعًا، ثم رجلًا مجتمعًا، ثم كهلًا يقال منه: أبدأ وأعاد وبدأ وعاد، لغتان بمعنى واحد. وقوله: ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ يقول: ثم هو يعيده من بعد فنائه وبلاه، كما بدأه أوّل مرّة خلقًا جديدًا، لا يتعذّر عليه ذلك ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ سهل كما كان يسيرًا عليه إبداؤه.

وأورد بإسناد حسن عن قَتادة: في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾: بالبعث بعد الموت.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا عن الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، أنه أرشدهم إلى إثبات المعاد الذي ينكرونه، بما يشاهدونه في أنفسهم من خلق الله إياهم، بعد أن لم يكونوا شيئًا مذكورًا، ثم وجدوا وصاروا أناسًا سامعين مبصرين، فالذي بدأ هذا قادر على إعادته؛ فإنه سهل عليه يسير لديه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقيل: المعنى أولم يروا كيف يبدئ الله الثمار فتحيا ثم تفنى ثم يعيدها أبدا وكذلك يبدأ خلق الإنسان ثم يهلكه بعد أن خلق منه ولدًا وخلق من الولد ولدًا وكذلك سائر الحيوان أي فإذا رأيتم قدرته على الإبداء والإيجاد فهو القادر على الإعادة ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ لأنه إذا أراد أمرًا قال له كن فيكون.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾؟

ج: هذا – والله أعلم – حثٌّ على النظر والتفكر والتدبر والاعتبار فيقول تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟﴾ أيها الناس ويا منكري القدرة على البعث ويا منكري الجزاء ﴿سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وانظروا إلى قدرة الله عَزَّ وَجَلَّ في مخلوقاته التي خلقها، انظروا كيف بدأ خلقها ولم تك شيئًا، انظروا إلى عموم ما خلق الله من دواب تدب على الأرض ومن أسماك وحيتان في البحر، وإلى تلك الطيور السارحة، والنباتات ذات الشكل البهيج، وكذا السموات والأرض والجبال وغير ذلك مما تستدلون به على قدرة الله، فإن الله خلقه ولم يك شيئًا، ثم إن الله عَزَّ وَجَلَّ ينشؤكم مرة أخرى يوم

القيامة كما أنشأكم في الدنيا فهو ﷻ على كل شيء قدير.

**وبنحو هذا قال أهل العلم.**

**قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

**وقوله:** ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يقول تعالى ذكره لمحمد ﷺ: قل يا محمد للمنكرين للبعث بعد الممات، الجاحدين الثواب والعقاب: ﴿سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ﴾ الله الأشياء وكيف أنشأها وأحدثها؛ وكما أوجدها وأحدثها ابتداء فلم يتعذّر عليه إحداثها مُبدئًا، فكذلك لا يتعذّر عليه إنشاؤها معيدًا ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ يقول: ثم الله يبدئ تلك البدأة الآخرة بعد الفناء.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله على إنشاء جميع خلقه بعد إفنائه كهيئته قبل فنائه، وعلى غير ذلك مما يشاء فعله قادر لا يعجزه شيء أراده.

**وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

ثم أرشدهم إلى الاعتبار بما في الآفاق من الآيات المشاهدة من خلق الله الأشياء: السموات وما فيها من الكواكب النيرة: الثوابت، والسيارات، والأرضين وما فيها من مهاد وجبال، وأودية وبرارٍ وقفار، وأشجار وأنهار، وثمار وبحار، كل ذلك دال على حدوثها في أنفسها، وعلى وجود صانعها الفاعل المختار، الذي يقول للشيء كن فيكون؛ ولهذا قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾، كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧].

ثم قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ أي: يوم القيامة، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾. وهذا المقام شبيه بقوله

تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣]، وكقوله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ [الطور: ٣٥، ٣٦].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي قل لهم يا محمد سيروا في الأرض ﴿فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ﴾ على كثرتهم وتفاوت هيئاتهم واختلاف ألسنتهم وألوانهم وطبائعهم وانظروا إلى مساكن القرون الماضية وديارهم وآثارهم كيف أهلكهم لتعلموا بذلك كمال قدرة الله ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ﴾.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴾؟

ج: هناك – والله أعلم – تعلق للمعنى بما قبله فقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ﴾ أي يُعيد الناس أحياء بعد موتهم فيعذب من يشاء يوم القيامة ويرحم من يشاء، وإليه المرجع والمآب.

وذهب بعض أهل العلم أن المعنى مستقل هاهنا فقوله: يعذب من يشاء في الدنيا ويرحم من يشاء فيها وإليه مرجع الناس كلهم ومُنقلبهم جميعًا ثم يحاسبهم ويجازي المحسن ويُعاقب المسيء، والله أعلم.

وهذه بعض أقوال أهل العلم في الآية الكريمة:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ﴾ خلقه من بعد فنائهم، فـ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ منهم على ما أسلف من جرمه في أيام حياته، ﴿وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ﴾ منهم ممن تاب وآمن وعمل صالحًا ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴾ يقول: وإليه

ترجعون وتردّون.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ ﴾ أي: هو الحاكم المتصرف، الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، لا معقب لحكمه، ولا يُسأل عما يفعل وهم يسألون، فله الخلق والأمر، مهما فعل فَعَدْلٌ؛ لأنه المالك الذي لا يظلم مثقال ذرة، كما جاء في الحديث الذي رواه أهل السنن: «**إن الله لو عذب أهل سماواته وأهل أرضه، لعذبهم وهو غير ظالم لهم**»[1]. ولهذا قال تعالى: ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ ﴾ أي: ترجعون يوم القيامة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ﴾ أي بعدله. ﴿وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ ﴾ أي: بفضله. ﴿وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ ﴾ ترجعون وتردون.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٢٢﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: وما أنتم أيها البشر بفائتين من الله عَزَّوَجَلَّ، فلن تستطيعوا هربًا في الأرض ولا في السماء، وليس لكم من وليٍّ يتولاكم، ولا نصير ينصركم.

ويمكن أيضًا أن يقال: وما أنتم يا أهل الأرض بهاربين من الله، وكذا أنتم يا أهل السماء لستم بهاربين.

وأخرج الطبري بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي

(١) وسنده صحيح.

﴿ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ قال: لا يُعجزه أهل الأرضين في الأرضين، ولا أهل السموات في السموات إن عصوه، وقرأ: ﴿مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾.

**وقال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:**

وقوله: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ يقول: وما كان لكم أيها الناس من دون الله من وليّ يلي أموركم، ولا نصير ينصركم من الله إن أراد بكم سوءًا ولا يمنعكم منه إن أحل بكم عقوبته.

**وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:**

وقوله: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: لا يعجزه أحد من أهل سماواته وأرضه، بل هو القاهر فوق عباده، وكل شيء خائف منه، فقير إليه، وهو الغني عما سواه.

﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ﴾ أي: جحدوها وكفروا بالمعاد، ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى﴾ أي: لا نصيب لهم فيها، ﴿وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: موجع في الدنيا والآخرة.



**س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾.**

ج: المعنى – والله أعلم-: والذين جحدوا آيات الله وأنكروها وأنكروا البعث والثواب والعقاب أولئك سييأسون من رحمتي يوم القيامة ولهم آنذاك عذاب مؤلمٌ موجعٌ.

**قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:**

يقول تعالى ذكره: والذين كفروا حُجَجَ الله، وأنكروا أدلته، وجحدوا لقاءه والورود عليه، يوم تقوم الساعة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي﴾ يقول تعالى ذكره: أولئك يئسوا من رحمتي في الآخرة لما عاينوا ما أعدّ لهم من العذاب، وأولئك لهم عذاب مُوجِع.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقۡتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٢٤﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: أن إبراهيم عليه السلام لما وعظ قومه بالمواعظ المتقدم ذكرها، وذكَّرهم بأنواع التذكير ما كان جوابهم له إلا أن قال بعضهم لبعض اقتلوا إبراهيم عليه السلام أو أوقدوا له نارًا فألقوه فيها فيحترق، ففعلوا ذلك به ولكن الله جعلها عليه بردًا وسلامًا وأنجاه من النار إن في ذلك الإنجاء لإبراهيم عليه السلام لدلالات لقوم يصدقون بقدرتنا ونصرنا لأوليائنا.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: فلم يكن جواب قوم إبراهيم له إذ قال لهم: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ إلا أن قال بعضهم لبعض: ﴿ٱقۡتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ﴾ بالنار، ففعلوا، فأرادوا إحراقه بالنار، فأضرموا له النار، فألقوه فيها، فأنجاه الله منها، ولم يسلطها عليه، بل جعلها عليه بَرْدًا وسلامًا.

وقوله:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن في إنجائنا لإبراهيم من النار، وقد ألقي فيها وهي تَسعر، وتصييرها عليه بردًا وسلامًا لأدلة وحججًا

لقوم يصدّقون بالأدلة والحجج إذا عاينوا ورأوا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا عن قوم إبراهيم في كفرهم وعنادهم ومكابرتهم، ودفعهم الحق بالباطل: إنه ما كان لهم جواب بعد مقالة إبراهيم هذه المشتملة على الهدى والبيان، ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾، وذلك لأنهم قام عليهم البرهان، وتوجهت عليهم الحجة، فعدلوا إلى استعمال جاههم وقوة ملكهم، ﴿قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ [الصافات: ٩٧، ٩٨]، وذلك أنهم حَشَدوا في جمع أحطاب عظيمة مدة طويلة، وحَوّطوا حولها، ثم أضرموا فيها النار، فارتفع لها لهب إلى عَنَان السماء: ولم توقد نار قط أعظم منها، ثم عمدوا إلى إبراهيم فكتفوه وألقوه في كفَّة المنجنيق، ثم قذفوا به فيها، فجعلها الله عليه بردًا وسلامًا، وخرج منها سالمًا بعد ما مكث فيها أيامًا. ولهذا وأمثاله جعله الله للناس إمامًا. فإنه بذل نفسه للرحمن، وجسده للنيران، وسخا بولده للقربان، وجعل ماله للضيفان، ولهذا اجتمع على محبته جميع أهل الأديان.

وقوله: ﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ أي: سَلَّمه منها، بأن جعلها عليه بردًا وسلامًا، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.



س: وضح وجوه القراءات في قوله تعالى: ﴿مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ مع ذكر معناها؟

ج: أشار الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ إلى ثلاث وجوه للقراءات فيها:

أحدها: ﴿مودةً بينكم﴾ بفتح التاء المربوطة مع تنوينها وفتح النون من بينكم بغير إضافة.

**الثاني:** ﴿مودةَ بينِكم﴾ بفتح التاء المربوطة وكسر النون من قوله بينِكم.

**الثالث:** ﴿مودةُ بينِكم﴾ بضم التاء المربوطة وخفض النون.

**أما عن المعاني فكلها متقاربة،** وحاصلها أن أهل الكفر كان بعضهم يجامل بعضًا بعبادتهم الأصنام والتقرب إليها، أي أنهم يعبدون الأوثان ويتفانون في خدمتها مجاملة من بعضهم لبعض أما بشيء من التفصيل.

**فالوجه الأول:** حاصله – والله أعلم –: إن الأوثان التي اتخذتموها آلهة تعبدونها من دون الله إنما كان اتخاذكم لها ﴿مودةً بينكم﴾ أي: تواصلًا بينكم وصداقةً وترابطًا بينكم، فكنتم تتواصلون بذلك وتتوادون بذلك، يتودد بعضكم لبعض بذلك.

**والثاني:** قريب المعنى من الأول، وحاصله –والله أعلم– إنما اتخذتموها مودة بينكم تتحابون على عبادتها وتتوادون على خدمتها فالمقرب منكم من يخدمها ويوقرها.

**أما الوجه الثالث:** فصل فيه البعض بأن قالوا إن كلمة ﴿إنما﴾ مشتملة على حرفين ﴿إن﴾ و﴿ما﴾ فيكون المعنى –والله أعلم– إن الذي اتخذتم من دون الله أوثانًا إنما هو مودتكم في الدنيا، وليست بنافعتكم شيئًا في الآخرة، والله أعلم. وكما أسلفت فالمعاني متقاربة.

**قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:**

﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ يقول لقومه مقرِّعًا لهم وموبخًا على سوء صنيعهم، في عبادتهم الأوثان: إنما اتخذتم هذه لتجتمعوا على عبادتها في الدنيا، صداقة وألفة منكم، بعضكم لبعض في الحياة الدنيا. وهذا على قراءة من نصب ﴿مودة بينَكم﴾، على أنه مفعول له، وأما

على قراءة الرفع فمعناه: إنما اتخاذكم هذا يُحَصّل لكم المودة في الدنيا فقط.

وقال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل إبراهيم لقومه: ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم لقومه: يا قوم ﴿ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنًا ﴾.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ﴾ فقرأته عامة قرّاء المدينة والشأم وبعض الكوفيين: ﴿مَوَدَّةً﴾ بنصب «مودة» بغير إضافة ﴿بَيْنَكُمْ﴾ بنصبها. وقرأ ذلك بعض الكوفيين: ﴿مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ بنصب «المودّة» وإضافتها إلى قوله: ﴿بَيْنِكُمْ﴾، وخفض ﴿بَيْنِكُمْ﴾. وكأن هؤلاء الذين قرءوا قوله: ﴿مَوَدَّةَ﴾ نصبا، وجَّهوا معنى الكلام إلى: ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم﴾ أيها القوم ﴿أَوْثَانًا مَّوَدَّةً بَيْنَكُمْ﴾، فجعلوا إنما حرفًا واحدًا، وأوقعوا قوله: ﴿ٱتَّخَذۡتُم﴾ على الأوثان، فنصبوها بمعنى: اتخذتموها مودّة بينكم في الحياة الدنيا، تتحابُّون على عبادتها، وتتوادّون على خدمتها، فتتواصلون عليها، وقرأ ذلك بعض قرّاء أهل مكة والبصرة: ﴿مَوَدَّةُ بَيْنِكُمْ﴾ برفع المودة وإضافتها إلى البَيْنِ، وخفض البين، وكأن الذين قرءوا ذلك كذلك، جعلوا «إنَّ مَا» حرفين، بتأويل: إن الذين اتخذتم من دون الله أوثانًا إنما هو مودّتكم للدنيا، فرفعوا «مَوَدَّةُ» على خبر إن. وقد يجوز أن يكونوا على قراءتهم ذلك رفعًا بقوله: «إنما» أن تكون حرفا واحدًا، ويكون الخبر متناهيًا عند قوله: ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنًا﴾ ثم يبتدئُ الخبر فيقال: ما مودتكم تلك الأوثان بنافعتكم، إنما مودّة بينكم في حياتكم الدنيا، ثم هي منقطعة، وإذا أريد هذا المعنى كانت المودّة مرفوعة بالصفة بقوله: ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَآ﴾ وقد يجوز أن يكونوا أرادوا برفع المودّة، رفعها على ضمير هي.

وهذه القراءات الثلاث متقاربات المعاني؛ لأن الذين اتخذوا الأوثان آلهة يعبدونها، اتخذوها مودة بينهم، وكانت لهم في الحياة الدنيا مودة، ثم هي عنهم منقطعة، فبأيّ ذلك قرأ القارئ فمصيب، لتقارب معاني ذلك، وشهرة القراءة بكلّ واحدة منهنّ في قرّاء الأمصار.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا﴾ قال: صارت كل خُلَّة في الدنيا عداوة على أهلها يوم القيامة إلا خُلَّة المتقين.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: ثم إنكم يا من جامل بعضكم بعضًا باتخاذ الأصنام آلهة يتبرأ بعضكم من بعض يوم القيامة، ويجحد بعضكم بعضًا ويلعن بعضكم بعضًا، أي أن المجاملات التي كانت من بعضكم لبعض ليست بنافعة لكم يوم القيامة بل مصيركم الذي تصيرون إليه ومأواكم الذي تأوون إليه هو النار، وما لكم من نصير ينصركم ولا ولي يتولاكم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا﴾ يقول تعالى ذكره: ثم يوم القيامة أيها المتوادّون على عبادة الأوثان والأصنام، والمتواصلون على خدماتها عند ورودكم على ربكم، ومعاينتكم ما أعدّ الله لكم على التواصل، والتوادّ في الدنيا من أليم العذاب، ﴿يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم

بِبَعۡضٍ﴾ يقول: يتبرأ بعضكم من بعض، ويلعن بعضُكم بعضًا.

وقوله: ﴿وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾ يقول جلّ ثناؤه: ومصير جميعكم أيها العابدون الأوثان وما تعبدون النار ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ يقول: وما لكم أيها القوم المتخذو الآلهة، من دون الله﴿مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ﴾ من أنصار ينصرونكم من الله حين يصليكم نار جهنم، فينقذونكم من عذابه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ ينعكس هذا الحال، فتبقى هذه الصداقة والمودة بَغْضَة وشنآنا، فـ ﴿يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٍ﴾ أي: تتجاحدون ما كان بينكم، ﴿وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا﴾ أي: يلعن الأتباع المتبوعين، والمتبوعون الأتباع، ﴿كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ﴾ [الأعراف: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]، وقال هاهنا: ﴿ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٍ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ أي: ومصيركم ومرجعكم بعد عرصات القيامة إلى النار، وما لكم من ناصر ينصركم، ولا منقذ ينقذكم من عذاب الله. وهذا حال الكافرين، فأما المؤمنون فبخلاف ذلك.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٦﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: فصدَّق لوطٌ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وآمن به وبما جاء به من عند الله، واتبعه، وقال إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إني مهاجر من بلادي إلى بلاد أخرى أعبد فيها ربي عَزَّوَجَلَّ كما قال في آية أخرى: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي

سَيَهۡدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩].

أما قوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ فمعناه الذي لا يغلب.

﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ في كل شيء وفيما يشرع ويقضي ويقدِّر. والله أعلم.

**قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

يقول تعالى ذكره: فصدّق إبراهيم خليل الله لوط ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ يقول: وقال إبراهيم: إني مهاجر دار قومي إلى ربي إلى الشام.

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ يقول: إن ربي هو العزيز الذي لا يذِلّ من نَصَره، ولكنه يمنعه ممن أراده بسوء، وإليه هجرته، الحكيم في تدبيره خلقه، وتصريفه إياهم فيما صرفهم فيه.

**وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

يقول تعالى مخبراً عن إبراهيم: أنه آمن له لوط، يقال: إنه ابن أخي إبراهيم، يقولون هو: لوط بن هاران بن آزر، يعني: ولم يؤمن به من قومه سواه، وسارة امرأة الخليل.

وقوله: ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ يحتمل عود الضمير في قوله: ﴿وَقَالَ﴾، على لوط؛ لأنه أقرب المذكورين، ويحتمل عوده إلى إبراهيم -قال ابن عباس، والضحاك: وهو المكنى عنه بقوله: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞ﴾ أي: من قومه.

ثم أخبر عنه بأنه اختار المهاجرة من بين أظهرهم، ابتغاء إظهار الدين والتمكن من ذلك؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ أي: له العزة ولرسوله وللمؤمنين به، ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ في أقواله وأفعاله وأحكامه القدرية والشرعية.



س: كيف قال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لسارة عَلَيْهَا السَّلَامُ: (ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك) وقد قال تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ﴾، وكذا قال تعالى: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

ج: قد يكون قال لسارة عَلَيْهَا السَّلَامُ ما قال قبل أن يؤمن له لوطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكذا قبل إيمان من آمن معه.

وأورد الحافظ ابن كثير قولًا آخر فقال:

لكن يقال: كيف الجمع بين هذه الآية، وبين الحديث الوارد في الصحيح: «**أن إبراهيم حين مَرّ على ذلك الجبار، فسأل إبراهيم عن سارة: ما هي منه؟ فقال: أختي، ثم جاء إليها فقال لها: إني قد قلت له: إنك: أختي، فلا تكذبيني، فإنه ليس على وجه الأرض مؤمن غيرك وغيري، فأنت أختي في الدين**»[(١)]. وكأن المراد من هذا -والله أعلم- أنه ليس على وجه الأرض زوجان على الإسلام غيري وغيرك، فإن لوطًا عَلَيْهِ السَّلَامُ، آمن به من قومه، وهاجر معه إلى بلاد الشام، ثم أرسِل في حياة الخليل إلى أهل «سَدوم» وإقليمها، وكان من أمرهم ما تقدم وما سيأتي.



س: من أي بلدة هاجر إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وإلى أي بلدة؟

ج: قال بعض أهل العلم هاجر من بلاد الكوفة إلى الشام، وهذا قول قتادة فقد أخرج الطبري بسندٍ حسن عن قتادة، قوله ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ﴾ أي: فصدقه لوط ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ﴾ قال: هاجرا جميعًا من كوثى، وهي من سواد الكوفة إلى الشام.

---

(١) مسلم (٢٣٧١).

قلت: كذا قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولم أقف في الباب على خبرٍ عن رسول الله ﷺ.



س: من القائل: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾؟

ج: قائله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وذلك لأمور:

أحدها: أن السياق كله قبل وبعد الآية في شأن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

ثانيًا: قوله في آية آخرى ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩].

ثالثًا: قوله بعد الآية الكريمة ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ﴾، وهذا في إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: ومننا على إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بأن رزقناه بإسحاق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وذلك عند كبره إذ قد قال: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩] وكذا بشرناه بحفيده يعقوب ابن إسحاق عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ، وهو نبي كريم أيضًا، وجعلنا كل الأنبياء من بعد إبراهيم من ذريته عليه الصلاة والسلام، إلى أن جاء عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، مبشرًا برسول الله محمد ﷺ الذي هو من نسل إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وكذا جعلنا الكتب التي أنزلناها من عندنا تنزل على ذرية إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأعطيناه في الدنيا حسنة، وأجرًا عظيمًا: منه صلاتنا عليه في كل صلاة نصليها، وتبريكنا عليه ومنها أن كل الفرق تحب إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وترغب في نسبته إليها، وجعلنا له ثناءً حسنًا عليه في الناس من بعده، فقد أجبنا دعوته إذ دعانا قائلًا: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤].

ومع ذلك كله فأجره مدخرٌ عند الله كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ورزقناه من لدنا إسحاق ولدًا، ويعقوبَ من بعده وَلَدَ وَلَدٍ.

وقوله: ﴿وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ﴾ بمعنى الجمع، يراد به الكُتُب، ولكنه خُرِّج مَخْرج قولهم: كثر الدرهم والدينار عند فلان.

وقوله: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ يقول تعالى ذكره: وأعطيناه ثواب بلائه فينا في الدنيا ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ مع ذلك ﴿فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ فله هناك أيضا جزاء الصالحين، غير منتقص حَظُّه بما أعطى في الدنيا من الأجر على بلائه في الله عما له عنده في الآخرة.

وقيل: إن الأجر الذي ذكره الله ٥ أنه آتاه إبراهيم في الدنيا هو الثناء الحسن، والولد الصالح.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ﴾، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلًّا جَعَلۡنَا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٤٩] أي: إنه لما فارق قومه أقرّ الله عينه بوجود ولد صالح نبي وولد له ولد صالح في حياة جده. وكذلك قال الله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ [الأنبياء: ٧٢].

أي: زيادة، كما قال: ﴿فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ﴾ [هود: ٧١] أي: ويولَد لهذا الولد ولد في حياتكما، تقر به أعينكما. وكون يعقوب ولد لإسحاق نص عليه القرآن، وثبتت به السنة النبوية، قال الله: ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ

يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

وفي الصحيحين(١): «**إن الكريم ابنَ الكريم ابنِ الكريم ابن الكريم يوسفُ بنَ يعقوبَ بن إسحاقَ بن إبراهيم**».

فأما ما رواه العوفي عن ابن عباس في قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾، قال: «هما ولدا إبراهيم». فمعناه: أن ولد الولد بمنزلة الولد؛ فإن هذا أمر لا يكاد يخفى على من هو دون ابن عباس.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾، هذه خِلْعَة سَنية عظيمة، مع اتخاذ الله إياه خليلًا وجعله للناس إمامًا، أن جعل في ذريته النبوة والكتاب، فلم يوجد نبي بعد إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، إلا وهو من سلالته، فجميع أنبياء بني إسرائيل من سُلالة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، حتى كان آخرهم عيسى ابن مريم، فقام في ملئهم مبشرًا بالنبي العربي القرشي الهاشمي، خاتم الرسل على الإطلاق، وسيد ولد آدم في الدنيا والآخرة، الذي اصطفاه الله من صميم العرب العَرْباء، من سلالة إسماعيل بن إبراهيم، عَلَيْهِ السَّلَامُ: ولم يوجد نبي من سلالة إسماعيل سواه، عليه أفضل الصلاة والسلام.

وقوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: جمع الله له بين سعادة الدنيا الموصولة بسعادة الآخرة، فكان له في الدنيا الرزق الواسع الهنيُّ والمنزل الرَّحْب، والمورد العذب، والزوجة الحسنة الصالحة، والثناء الجميل، والذكر الحسن، فكل أحد يحبه ويتولاه، كما قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم، مع القيام بطاعة الله من جميع الوجوه، كما قال تعالى:

(١) البخاري (٤٦٨٨).

﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ [النجم: ٣٧]، أي: قام بجميع ما أمر به، وكمل طاعة ربه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾.

[النحل: ١٢٠-١٢١]

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ﴾ أي مَنَّ الله عليه بالأولاد فوهب له إسحاق ولدًا ويعقوب ولد ولد وإنما وهب له إسحاق من بعد إسماعيل ويعقوب من إسحاق ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ فلم يبعث الله نبيًّا بعد إبراهيم إلا من صلبه، ووحد الكتاب لأنه أراد المصدر كالنبوة والمراد التوراة والإنجيل والفرقان فهو عبارة عن الجمع فالتوراة أنزلت على موسى من ولد إبراهيم والإنجيل على عيس من ولده والفرقان على محمد من ولده ﷺ وعليهم أجمعين ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ يعني اجتماع أهل الملل عليه قاله عكرمة، وروى سفيان عن حميد بن قيس قال: أمر سعيد بن جبير إنسانًا أن يسأل عكرمة عن قوله جل ثناؤه: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ فقال عكرمة: أهل الملل كلها تدعيه وتقول هو منا فقال سعيد بن جبير: صدق. وقال قتادة هو مثل قوله: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ [ النحل: ١٢٢ ] أي عاقبة وعملًا صالحًا وثناء حسنًا وذلك أن أهل كل دين يتولونه وقيل: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ أن أكثر الأنبياء من ولده ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ليس ﴿فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ داخلًا في الصلة وإنما هو تبيين وقد مضى في (البقرة) بيانه وكل هذا حث على الاقتداء بإبراهيم في الصبر على الدين الحق.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ (أضواء البيان):

قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

ذكر جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة أنه آتى إبراهيم أجره، أي: جزاء عمله في الدنيا، وإنه في الآخرة أيضًا من الصالحين.

وقال بعض أهل العلم: المراد بأجره في الدنيا: الثناء الحسن عليه في دار الدنيا من جميع أهل الملل على اختلافهم إلى كفار ومؤمنين، والثناء الحسن المذكور هو لسان الصدق، في قوله: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤]، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٠]، وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، لا يخفى أن الصلاح في الدنيا يظهر بالأعمال الحسنة، وسائر الطاعات، وأنه في الآخرة يظهر بالجزاء الحسن، وقد أثنى الله في هذه الآية الكريمة على نبيّه إبراهيم عليه وعلى نبيّنا الصّلاة والسّلام، وقد أثنى على إبراهيم أيضًا في آيات أُخر؛ كقوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ﴾ [البقرة: ١٢٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ [النجم: ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [النحل: ١٢٠-١٢٢].



## شيءٌ من ذكر نبي الله لوط عليه السلام

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا
مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقۡطَعُونَ
ٱلسَّبِيلَ وَتَأۡتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلۡمُنكَرَۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ
أَن قَالُواْ ٱئۡتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٩ قَالَ رَبِّ
ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٣٠ وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ
قَالُوٓاْ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ٣١ قَالَ
إِنَّ فِيهَا لُوطٗاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ
كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٣٢ وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ
وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ
كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٣٣ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ٣٤ وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ
لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٣٥﴾

[العنكبوت: ٢٨-٣٥]

س: وضِّح معنى ما يلي:
﴿لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ - لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ - وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ - نَادِيكُمُ - ٱلْمُنكَرَ - بِٱلْبُشْرَىٰ - ٱلْغَٰبِرِينَ - سِيٓءَ بِهِمْ - وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا - رِجْزًا﴾؟

ج:

| الكلمة | معناها |
| --- | --- |
| ﴿لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ | لتفعلون الفعلة الفاحشة، وهي إتيان الذكران من العالمين، فكان الرجل يجامع الرجل |
| ﴿لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾ | لتجامعون الرجال |
| ﴿وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾ | تقطعون الطريق على المارة (وتفعلون بهم الفواحش) |
| ﴿نَادِيكُمُ﴾ | مجتمعكم الذي تجتمعون فيه – مكان الاجتماع |
| ﴿ٱلْمُنكَرَ﴾ | الفعل المستنكر الذي تستنكره الشرائع والعقول الصحيحة |
| ﴿بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ | بالأمر السار، وهو تبشيره بأنه سيرزق بإسحاق، وإن إسحاق سيرزق بيعقوب |
| ﴿ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ | الباقين في العذاب – الهالكين |
| ﴿سِيٓءَ بِهِمْ﴾ | ساءه مجيؤهم وأحزنه مجيؤهم |
| ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ | حزن حزنًا شديدًا بسببهم ولم يجد حيلة أمامه لنصرهم والمحافظة عليهم- أهمه أمرهم همًّا شديدًا – تضايق تضايقًا شديدًا بسببهم |

﴿رِجْزًا﴾ عذابًا

س: ما المراد بالفاحشة المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾؟

ج: هذه الفاحشة هي إتيان الذكران، فكان الرجل يستغني بالرجل عن المرأة، وهي موضحة في الآية التالية في قوله: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ...﴾ وفي الآية الأخرى: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الأعراف: ٨١].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: واذكر لوطًا إذ قال لقومه: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ﴾ الذُّكْرَانَ ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا﴾ يعني بالفاحشة التي كانوا يأتونها، وهي إتيان الذكران ﴿مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا عن نبيه لوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، إنه أنكر على قومه سُوء صنيعهم، وما كانوا يفعلونه من قبيح الأعمال في إتيانهم الذكران من العالمين.



س: ما المراد بقوله: ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم – أنه لم يسبق قوم لوطٍ أحدٌ من العالمين بفعل هذه الفاحشة، أي أن إتيان الذكور لم يفعله أحدٌ قبل قوم لوط.

قال الطبري بإسناد صحيح عن عمرو بن دينار في قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال: ما نزا ذَكَرٌ على ذكر حتى كان قوم لوط.



س: اذكر كيف كانوا يقطعون السبيل؟

ج: كانوا يقطعون الطريق على المارة والمسافرين، فيسلبونهم الأموال، ويأخذونهم يفعلون بهم الفواحش.

كذا قال عدد من أهل العلم.



س: ما المراد بالمنكر الذي كانوا يأتونه في ناديهم؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أنهم كانوا يفعلون الفاحشة في مكان تجمعهم عيانًا لا يستحيون من ذلك.

الثاني: أنهم كانوا يحذفون أهل الطريق ويسخرون منهم.

وقد ورد بذلك حديث ضعيف الإسناد أخرجه أحمد والترمذي والطبري(١) وغيرهم من طريق أبي صالح – مولى أم هانئ – عن أم هانئ، قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله ﷻ: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ قال: «**يحذفون أهل الطريق، ويسخرون منهم، وذلك المنكر الذي كانوا يأتونه**».

وهذا ضعيف.

الثالث: أنهم كانوا يفعلون المنكرات عمومًا في مجالسهم بلا حياءٍ ولا خجل ولا وجل، والتي منها أنهم كانوا يتظارطون في المجالس ويضحكون.

وأورد القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أقوالًا عن بعض أهل العلم لا أعلم لها مستندًا من

---

(١) ضعيف: أخرجه أحمد (٦/ ٣٤١)، والترمذي (٣١٩٠)، والطبري (١٢٧٧٤٣)، وغيرهم، وفي سنده أبو صالح باذام مولى أم هانئ وهو ضعيف.

كتاب الله ﷻ ولا من سنة رسول الله ﷺ إلا ما يتعلق بفعلهم الفاحشة.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال مكحول[١]: في هذه الأمة عشرة من أخلاق قوم لوط: مضغ العلك وتطريف الأصابع بالحناء وحل الإزار وتنقيض الأصابع والعمامة التي تلف حول الرأس والتشابك ورمي الجلاهق والصفير والخذف واللوطية. وعن ابن عباس قال: إن قوم لوط كانت فيهم ذنوب غير الفاحشة منها أنهم يتظالمون فيما بينهم ويشتم بعضهم بعضًا ويتضارطون في مجالسهم ويخذفون ويلعبون بالنرد والشطرنج ويلبسون المصبغات ويتناقرون بالديكة ويتناطحون بالكباش ويطرفون أصابعهم بالحناء وتتشبه الرجال بلباس النساء والنساء بلباس الرجال ويضربون المكوس على كل عابر ومع هذا كله كانوا يشركون بالله وهم أول من ظهر على أيديهم اللوطية والسحاق.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٩)﴾.

ج: هذا استفهام استنكار وتوبيخ من لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه يقول لهم: أئنكم لتفعلون الفعلة القبيحة التي تنفر منها النفوس، تلك الفعلة البشعة المحرمة حيث يأتي بعضكم بعضًا، فعلًا للفاحشة وممارسةً لها، وتؤذون المارة والمسافرين بكل أنواع الأذى فتسلبونهم أموالهم وترمونهم بالحجارة وتفعلون بهم كرهًا وظُلمًا تلك الفعلة الخبيثة ولا تستحيون في أماكن تجمعكم

(١) ولم أقف على سند صحيح لقول مكحول وابن عباس.

من ارتكاب المنكرات مجاهرين بها غير مسرين ولا مستترين، بل تفعلون ذلك جهارًا وأمام بعضكم البعض تفعلون كل أنواع المنكرات فما كان رد قومه عليه إلا أن استبعدوا وقوع العذاب عليهم ونزوله بهم فقالوا: على وجه التحدي والعناد ائتنا بعذاب الله الذي تعدنا به إن كنت صادقًا في دعواك أننا سنعذب.

**وبنحو هذا قال أهل التأويل.**

**قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل لوط لقومه ﴿أَئِنَّكُمْ﴾ أيها القوم، ﴿لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾ في أدبارهم ﴿وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾ يقول: وتقطعون المسافرين عليكم بفعلكم الخبيث، وذلك أنهم فيما ذُكر عَنْهم كانوا يفعلون ذلك بمن مرّ عليهم من المسافرين، من ورد بلادهم من الغرباء.

**وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد،** في قوله: ﴿وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾ قال: السبيل: الطريق. المسافر إذا مرّ بهم، وهو ابن السبيل قَطَعوا به، وعملوا به ذلك العمل الخبيث.

وقوله: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ اختلف أهل التأويل في المنكر الذي عناه الله، الذي كان هؤلاء القوم يأتونه في ناديهم، فقال بعضهم: كان ذلك أنهم كانوا يتضارطُون في مجالسهم.

**وقال آخرون:** بل كان ذلك أنهم كانوا يحذفون من مر بهم.

وأورد حديثًا ضعيفًا في ذلك سبقت الإشارة إليه وقال بعضهم: بل كان ذلك إتيانهم الفاحشة في مجالسهم أي أن بعضهم يجامع بعضًا في المجالس.

**وأورد الطبري عدة آثار بذلك** تصح بمجموعها عن مجاهد وقتادة وابن

زيد وغيرهم.

ثم قال الطبري:

وقوله: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: فلم يكن جواب قوم لوط إذ نهاهم عما يكرهه الله من إتيان الفواحش التي حرمها الله إلا قيلهم: ائتنا بعذاب الله الذي تعدنا، إن كنت من الصادقين فيما تقول، والمنجزين لما تعد.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولم يسبقهم إلى هذه الفعلة أحد من بني آدم قبلهم. وكانوا مع هذا يكفرون بالله، ويكذّبون رسوله ويخالفونه ويقطعون السبيل، أي: يقفون في طريق الناس يقتلونهم ويأخذون أموالهم، ﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ أي: يفعلون ما لا يليق من الأقوال والأفعال في مجالسهم التي يجتمعون فيها، لا ينكر بعضهم على بعض شيئًا من ذلك، فمن قائل: كانوا يأتون بعضهم بعضًا في الملإ قاله مجاهد. ومن قائل: كانوا يتضارطون ويتضاحكون؛ قالته عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، والقاسم. ومن قائل: كانوا يناطحون بين الكباش، ويناقرون بين الديوك، وكل ذلك كان يصدر عنهم، وكانوا شرًّا من ذلك.

وقال:

وقوله: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، وهذا من كفرهم واستهزائهم وعنادهم؛ ولهذا استنصر عليهم نبي الله فقال: ﴿رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.



س: وضح معنى قوله: ﴿رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٣٠﴾؟

ج: هذا من لوط عليه السلام دعاءٌ على قومه بعد أن أصروا على جرائمهم وأصروا على كفرهم وأعلنوا عن تحديهم له وتكذيبهم لما يقوله، فقال: ﴿رَبِّ﴾ أي: يا رب انصرني على القوم المفسدين في الأرض الذي يقطعون السبيل ويأتون الذكران من العالمين فضلًا عن شركهم بالله عز وجل، والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ٣١﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم-: ولما جاءت ملائكتنا إبراهيم عليه السلام في صورة البشر تبشره بأنه سيرزق بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب أي أن إسحاق سيرزق بيعقوب هو الآخر عليه السلام قالوا له إنا أرسلنا إلى قوم لوط عليه السلام لإهلاكهم ولتدمير قريتهم عليهم، فإن أهلها كانوا ظالمين لأنفسهم باخسين لها حقها لشركهم وفعلهم القبائح.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ﴾ من الله بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ﴾ يقول: قالت رسل الله لإبراهيم: إنا مهلكو أهل هذه القرية، قرية سَدُوم، وهي قرية لوط ﴿إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ يقول: إن أهلها كانوا ظالمي أنفسهم؛ بمعصيتهم الله، وتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم –: أن إبراهيم عليه السلام لما أخبرته الملائكة عليهم السلام أنهم مهلكوا أهل قرية لوط عليه السلام قال لهم: إن فيها لوطًا عليه السلام، وهو مؤمن فأجابته الملائكة بقولهم نحن أعلم منك بمن في هذه القرية من المؤمنين وغير المؤمنين، وسننجي لوطًا عليه السلام وننجي أهله معه إلا امرأته فلم تكن بمؤمنه، وقد قضى الله أن تكون من الباقين في العذاب، من الهالكين.

**قال الطبري رحمه الله:**

**يقول تعالى ذكره:** قال إبراهيم للرسل من الملائكة إذ قالوا له: ﴿إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ فلم يستثنوا منهم أحدا، إذ وصفوهم بالظلم: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًاۚ﴾، وليس من الظالمين، بل هو من رسل الله، وأهل الإيمان به، والطاعة له، فقالت الرسل له: ﴿نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ﴾ من الظالمين الكافرين بالله منك، وإن لوطًا ليس منهم، بل هو كما قلت من أولياء الله، ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ﴾ من الهلاك الذي هو نازل بأهل قريته ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾ الذين أبقتهم الدهور والأيام، وتطاولت أعمارهم وحياتهم، وإنها هالكة من بين أهل لوط مع قومها.

**وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:**

لما استنصر لوط عليه السلام الله عليهم، بعث الله لنصرته ملائكة فمروا على إبراهيم عليه السلام، في هيئة أضياف، فجاءهم بما ينبغي للضيف، فلما رأى أنه لا همَّة لهم إلى الطعام نكِرَهم، وأوجس منهم خيفة، فشرعوا يؤانسونه ويبشرونه بوجود ولد صالح من امرأته سارة –وكانت حاضرة –فتعجبت من

ذلك، كما تقدم بيانه في سورتي «هود» و«الحجر». فلما جاءت إبراهيم البشرى، وأخبروه بأنهم أُرسلوا لهلاك قوم لوط، أخذ يدافع لعلهم يُنظَرون، لعل الله أن يهديهم، ولما قالوا: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾، ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ أي: من الهالكين؛ لأنها كانت تمالئهم على كفرهم وبغيهم ودبرهم. ثم ساروا من عنده فدخلوا على لوط في صورة شباب حسان.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

ج: ولما أن جاءت ملائكتنا الذين أرسلناهم إلى قوم لوطٍ لتدميرهم بإهلاكهم ساءه مجيؤهم وتضايق بسببهم خوفًا عليهم من قومه الأشرار أن يأتوا إليهم ويفعلوا بهم الفاحشة، فطمأنوه وقالوا له: لا تخف علينا يا نبي الله من قومك الأشرار ولا تحزن على ما أصابك من هموم وغموم، ولا تحزن مما يحيط بك، ولا تخف فإنا منجوك وأهلك المؤمنين بك، إلا امرأتك فقد كانت خائنة في الدين، وقد كتب الله أن تكون من الهالكين الباقين مع الذين سيعذبون ويهلكون، وفي الآيات الأُخر أن الله ﷻ أوحى إليه أن يخرج بعباد الله المؤمنين وكذا بأهله المؤمنين به، كما قال تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود: ٨١] وأخبرته الملائكة أنهم سينزلون على أهل هذه القرية

عذابًا من السماء بسبب جرمهم وفسقهم، وإيضاحه في قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ [هود: ٨٢] فأهلكها الله ﷻ وتركها آية وعبرةً وعظةً لقوم يعقلون سنة الله في الخلق ويعقلون كيف يُعذب الظالمون، ويُنجي الله المؤمنين.

**قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾ من الملائكة ﴿سِىٓءَ بِهِمْ﴾ يقول: ساءته الملائكة بمجيئهم إليه، وذلك أنهم تَضيفوه، فساءوه بذلك، فقوله: ﴿سِىٓءَ بِهِمْ﴾: فُعِلَ بهم مِنْ ساءه بذلك.

وذُكر عن قتادة أنه كان يقول: ساء ظنه بقومه، وضاق بضيفه ذَرْعا.

وأورد الطبري بإسناد حسن عن قَتادة، قوله: ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ قال: بالضيافة مخافة عليهم مما يعلم من شرّ قومه.

**قال الطبري:** وقوله: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ﴾ يقول تعالى ذكره: قالت الرسل للوط: لا تخف علينا أن يصل إلينا قومك، ولا تحزَن مما أخبرناك من أنَّا مهلكوهم، وذلك أن الرسل قالت له: ﴿يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾، ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ﴾ من العذاب الذي هو نازل بقومك ﴿وَأَهْلَكَ﴾ يقول: ومنجو أهلِك معك ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾ فإنها هالكة فيمن يهلك من قومها، كانت من الباقين الذين طالت أعمارهم.

**يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل الرسل للوط:** ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ﴾ يا لُوط ﴿عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ سَدُوم ﴿رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني عذابًا.

**وقوله:** ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ يقول: بما كانوا يأتون من معصية الله، ويركبون من الفاحشة.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةً لِّقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ﴾

يقول تعالى ذكره: ولقد أبقينا من فَعْلتنا التي فَعَلْنا بهم آية، يقول: عبرة بينة وعظة واعظة، ﴿لِّقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ﴾ عن الله حُجَجه، ويتفكرون في مواعظه، وتلك الآية البينة هي عندي عُفُوُّ آثارهم، ودروس معالمهم.

وأورد بسندٍ حسن عن قَتادة: ﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةً لِّقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ﴾ قال: هي الحجارة التي أُمطرت عليهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فلما رآهم كذلك، ﴿سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعًا﴾ أي: اهتمَّ بأمرهم، إن هو أضافهم خاف عليهم من قومه، وإن لم يضفهم خشي عليهم منهم، ولم يعلم بأمرهم في الساعة الراهنة. ﴿وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٣٣ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾، وذلك أن جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ اقتلع قراهم من قرار الأرض، ثم رفعها إلى عَنَان السماء، ثم قلبها عليهم. وأرسل الله عليهم حجارة من سجيل منضود، مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد، وجعل مكانها بحيرة خبيثة منتنة، وجعلهم عبرة إلى يوم التناد، وهم من أشد الناس عذابًا يوم المعاد؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةً﴾ أي: واضحة، ﴿لِّقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ﴾، كَمَا قَالَ: ﴿وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم مُّصۡبِحِينَ ١٣٧ وَبِٱلَّيۡلِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾.

[الصافات: ١٣٧، ١٣٨]



قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ
ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ
فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ
لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ
عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ
وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟
سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم
مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ
وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾

[العنكبوت: ٣٦-٤٠].

س: وضح معنى ما يلي:

﴿وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ - وَلَا تَعۡثَوۡاْ - ٱلرَّجۡفَةُ - جَٰثِمِينَ - وَزَيَّنَ - مُسۡتَبۡصِرِينَ - سَٰبِقِينَ - حَاصِبًا - ٱلصَّيۡحَةُ﴾.

ج:

| الكلمة | معناها |
|---|---|
| ﴿وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ﴾ | اطلبوا ثواب الله في اليوم الآخر بأعمالكم الصالحة |
| ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ﴾ | لا تكثروا من المعاصي – لا تكفروا |
| ﴿ٱلرَّجۡفَةُ﴾ | الزلزلة العظيمة |
| ﴿جَٰثِمِينَ﴾ | موتى بعضهم فوق بعض |
| ﴿وَزَيَّنَ﴾ | حسَّن |
| ﴿مُسۡتَبۡصِرِينَ﴾ | مستبصرين في ضلالتهم مُعجبين بها عالمين بطريق الحق، ولكنهم سلكوا غيره |
| ﴿سَٰبِقِينَ﴾ | فائتين من عذابنا – هاربين منا |
| ﴿حَاصِبًا﴾ | الحجارة الشديدة الصغيرة القاسية التي تحملها الرياح |
| ﴿ٱلصَّيۡحَةُ﴾ | الصوت العظيم الذي أهلكهم |



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبًا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٣٦ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٣٧﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – ولقد أرسلنا إلى أهل مدين نبينا شعيبًا عليه السلام، منهم من قبيلتهم وبلادهم فدعاهم إلى توحيد الله عز وجل وعدم الإشراك به فقال لهم: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وحده لا شريك له، اخضعوا له وأطيعوه ولا تجعلوا له شريكًا، واطلبوا بذلك ثواب الله في اليوم الآخر، وأقلعوا عن هذا الفساد الكثير الذي أفسدتموه في الأرض، لا تسعوا في الأرض بالفساد، وكان من فسادهم تطفيف المكيال والميزان وبخس الناس حقوقهم، فما كان منهم إذ دعاهم نبيهم عليه السلام إلى ذلك إلا أن كذَّبوه وخالفوه وعاندوه، فجاءتهم كغيرهم من المكذبين العقوبة، شديدة ومؤلمة فأخذتهم الرجفة، وهي الزلزلة العظيمة من تحت أرجلهم وكذا كان مما أصابهم عذاب يوم الظُّلة، إذ اعتراهم حرٌّ شديدٌ جدًّا أخرجهم من بيوتهم فرأوا سحابة سوداء فذهبوا يستظلون بها فتأججت عليهم نارًا، فنارٌ من فوقهم ورجفة من تحتهم، وصيحة ألمت بهم، فأصبحوا ميتين مُلقى بعضهم على بعض.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وأرسلت إلى مَدْين أخاهم شعيبًا، فقال لهم: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وحده، وذِلُّوا له بالطاعة، واخضعوا له بالعبادة ﴿وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ﴾ يقول: وارجوا بعبادتكم إياي جزاءَ اليوم الآخر، وذلك يوم القيامة ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ يقول: ولا تكثِروا في الأرض معصية الله، ولا تقيموا عليها، ولكن توبوا إلى الله منها وأنيبوا.

وقد كان بعض أهل العلم بكلام العرب يتأوَّل قوله: ﴿وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ﴾ بمعنى: واخشَوا اليوم الآخر، وكان غيره من أهل العلم بالعربية يُنكر ذلك ويقول: لم نجد الرجاء بمعنى الخوف في كلام العرب إلا إذا قارنه الجَحْد.

يقول تعالى ذكره: فكذَّب أهل مَدينَ شعيبًا فيما أتاهم به عن الله من الرسالة، فأخذتهم رَجْفة العَذاب ﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾ جُثومًا، بعضُهم على بعض مَوْتَى.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾: أي ميتين.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن عبده ورسوله شعيب عليه السلام، أنه أنذر قومه أهل مَدين، فأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له، وأن يخافوا بأس الله ونقمته وسطوته يوم القيامة، فقال: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ﴾.

قال ابن جرير: قال بعضهم: معناه: واخشوا اليوم الآخر، وهذا كقوله تعالى: ﴿لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَۚ﴾ [الممتحنة: ٦].

ثم نهاهم عن العيث في الأرض بالفساد، وهو السعي فيها والبغي على أهلها، وذلك أنهم كانوا ينقصون المكيال والميزان، ويقطعون الطريق على الناس، هذا مع كفرهم بالله ورسوله، فأهلكهم الله برجفة عظيمة زلزلت عليهم بلادهم، وصيحة أخرجت القلوب من حناجرها. وعذاب يوم الظلة الذي أزهق الأرواح من مستقرها، إنه كان عذاب يوم عظيم. وقد تقدمت قصتهم مبسوطة في سور «الأعراف، وهود، والشعراء».

وقوله: ﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾، قال قتادة: ميتين. وقال غيره: قد ألقي بعضهم على بعض.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبًا﴾ أي: وأرسلنا إلى مدين وقد تقدم ذكرهم وفسادهم في (الأعراف) و(هود) ﴿وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ﴾ وقال يونس

النحوي: أي: اخشوا الآخرة التي فيها الجزاء على الأعمال ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ أي: لا تكفروا فإنه أصل كل فساد والعثو والعثي أشد الفساد عثى يعثى وعثا يعثو بمعنى واحد وقد تقدم وقيل: ﴿وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ﴾ أي: صدقوا به فإن القوم كانوا ينكرونه.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: واذكر قوم عاد وقوم ثمود، وما حلَّ بهم من العقاب والنكال لتكذيبهم المرسلين ولشركهم بالله ﷻ وعنادهم وظلمهم وبغيهم، لقد حلَّ بهم أليم العقاب، فانظروا إلى مساكنهم يتبين لكم ويظهر كيف كان عقابنا لهم، فاحذروا؛ فقد زين لهم الشيطان أعمالهم حسنها لهم وجمَّلها في أعينهم، فاحذروا تزيينه لكم، لقد حسنها لهم فصرفهم عن طريق الحق إلى طريق الباطل، وقد كانوا في دنياهم مستبصرين.

وقد قيل في قوله تعالى: ﴿مُسْتَبْصِرِينَ﴾ أنهم مستبصرين في ضلالتهم وكفرهم ومعجبين بذلك.

وقال آخرون من أهل العلم: كانوا مستبصرين عالمين الحق رأوه ولكنهم سلكوا سبيلًا آخر غير ذلك السبيل، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧].

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: واذكروا أيها القوم عادًا وثمود، ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن

﴿مَّسَـٰكِنِهِمۡۖ﴾ خرابها وخلاؤُها منهم بوقائعنا بهم، وحلول سَطْوتنا بجميعهم ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَـٰنُ أَعۡمَـٰلَهُمۡ﴾ يقول: وحسَّن لهم الشيطان كفرهم بالله، وتكذيبَهم رسله ﴿فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ يقول: فردَّهم بتزيينه لهم، ما زيَّن لهم من الكفر عن سبيل الله، التي هي الإيمان به ورسله، وما جاءوهم به من عند ربهم ﴿وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ﴾ يقول: وكانوا مستبصرين في ضلالتهم، مُعْجبين بها، يحسبون أنهم على هدى وصواب، وهم على الضلال.

**وأورد بإسناد حسن عن قَتادة:** ﴿وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ﴾ في ضلالتهم مُعْجَبين بها.

**قال القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ**:**

**قوله تعالى:** ﴿وَعَادٗا وَثَمُودَاْ﴾ قال الكسائي: قال بعضهم: هو راجع إلى أول السورة أي: ولقد فتنا الذين من قبلهم وفتنا عادًا وثمود قال: وأحب إلى أن يكون معطوفًا على ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾ وأخذت عادًا وثمود وزعم الزجاج: أن التقدير وأهلكنا عادًا وثمود وقيل: المعنى واذكر عادًا إذ أرسلنا إليهم هودًا فكذبوه فأهلكناهم وثمود أيضًا أرسلنا إليهم صالحًا فكذبوه فأهلكناهم بالصيحة كما أهلكنا عادًا بالريح العقيم ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم﴾ يا معشر الكفار ﴿مِّن مَّسَـٰكِنِهِمۡۖ﴾ بالحجر والأحقاف آيات في إهلاكهم فحذف فاعل التبين ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَـٰنُ أَعۡمَـٰلَهُمۡ﴾ أي أعمالهم الخسيسة فحسبوها رفيعة ﴿فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: عن طريق الحق ﴿وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ﴾ فيه قولان: أحدهما: وكانوا مستبصرين في الضلالة قاله مجاهد. والثاني: كانوا مستبصرين قد عرفوا الحق من الباطل بظهور البراهين وهذا القول أشبه لأنه إنما يقال فلان مستبصر إذا عرف الشيء على الحقيقة. قال الفراء: كانوا عقلاء ذوي بصائر فلم تنفعهم بصائرهم وقيل: أتوا ما أتوا وقد تبين لهم أن عاقبتهم

العذاب.

**س: وضح معنى قولـه تعـ❁ ❁ ❁ـ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾.**

**ج:** المعنى – والله أعلم – واذكر قارون الطاغي الباغي الذي آتاه الله من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة، اذكره واذكر ما حلَّ به، وقد تقدم أمره في سورة القصص، وكذا فاذكر فرعون الذي عتا عتوًّا كبيرًا، واستكبر في نفسه قائلًا: أنا ربكم الأعلى، وقائلًا: يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري، واذكر وزيره وزير السوء ذلكم الوزير المبطل، اذكر هؤلاء وما حلَّ بهم لقد جاءهم رسول الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بالآيات البينات والحجج الواضحات الدالة على صدقه فتعالوا عن ذلك واستكبروا وأبوا أشد الإباء أن يؤمنوا، ولكنهم ما فاتونا ولا أعجزونا ولا هربوا منا فإنا كنا عليهم مقتدرون.

**وبنحو هذا قال أهل العلم.**

**قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:**

**يقول تعالى ذكره:** واذكر يا محمد، قارون وفرعون وهامان، ولقد جاء جميعهم موسى بالبيِّنات، يعني: بالواضحات من الآيات، ﴿فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ عن التصديق بالبينات من الآيات، وعن اتباع موسى صلوات الله عليه ﴿وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وما كانوا سابقينا بأنفسهم، فيفوتونا، بل كنا مقتدرين عليهم.

**وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:**

**قوله تعالى:** ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ﴾ قال الكسائي: إن شئت كان

محمولًا على عاد وكان فيه ما فيه وإن شئت كان على ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ وصد قارون وفرعون وهامان وقيل: أي: وأهلكنا هؤلاء بعد أن جاءتهم الرسل ﴿فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ عن الحق وعن عبادة الله ﴿وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾ أي: فائتين وقيل: سابقين في الكفر بل قد سبقهم للكفر قرون كثيرة فأهلكناهم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٠)﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – أن كل هذه الأمم المكذبة التي قدمنا ذكرها، قد عاقبناها وأنزلنا عليها أليم العقاب بسبب ذنوبها فمنهم من أرسلنا عليه حاصبًا وهي الحجارة الشديدة القاسية، وأحيانًا تحملها الرياح، وهؤلاء الذين أرسل عليهم الحاصب قوم لوط وقوم عاد، فقوم لوط قال تعالى في شأنهم: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ [هود: ٨٢] وقوم عاد، قال تعالى في شأنهم: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [الذاريات: ٤١] قال بعض العلماء: بما تحمله الريح من الحصباء، أي: حصباء الأرض حملتها الريح وعذبوا بها.

ومنهم من أخذته الصيحة، وهم ثمود، وأصحاب مدين، ومنهم من خسفنا به الأرض وهو قارون، ومنهم من أغرقنا وهم قوم نوح وقوم فرعون وهامان، ولم يكن الله ﷻ بظالمٍ لهم إذ أحلَّ بهم ما أحلَّ ولكنهم هم الذين بخسوا أنفسهم حقوقها ولم يجلبوا لها ما تستحق من أمان، وأمانها كان

بتوحيدهم لله ﷻ وطاعة رسله والاستقامة على أمره، فلم يفعلوا ذلك بل أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا وعاندوا أشد العناد وكذبوا المرسلين وظلموا العباد فحلَّ بهم من النكد والبلاء ما حلَّ.

**وبنحو ما ذكر قال العلماء.**

**قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

**يقول تعالى ذكره:** فأخذنا جميع هذه الأمم التي ذكرناها لك يا محمد بعذابنا ﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ وهم قوم لُوط الذين أمطر الله عليهم حجارة من سجِّيل مَنضُود، والعرب تسمي الريح العاصف التي فيها الحصى الصغار أو الثلج أو البرد والجليد: حاصبًا.

**وأورد بإسناد حسن عن قَتادة:** ﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ وهم قوم لوط.

وأورد قولين في الذين أخذتهم الصيحة، قوم ثمود وقوم شعيب، وأورد عن قتادة بسندٍ حسن أنه قال: قوم شعيب لكن الطبري عقب بقوله:

**والصواب من القول في ذلك أن يقال:** إن الله قد أخبر عن ثمود وقوم شعيب من أهل مدين أنه أهلكهم بالصيحة في كتابه في غير هذا الموضع، ثم قال جلَّ ثناؤه لنبيه ﷺ: فمن الأمم التي أهلكناهم من أرسلنا عليهم حاصبًا، ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ﴾، فلم يخصص الخبر بذلك عن بعض مَنْ أخذته الصيحة من الأمم دون بعض، وكلا الأمتين أعني ثمود ومدين قد أخذتهم الصيحة.

وقوله: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ يعني بذلك قارون.

**وأورد وجهين في الذين أغرقهم الله ﷻ**، وهم قوم نوح وفرعون وهامان.

**وقال:**

والصواب من القول في ذلك، أن يُقال: عُني به قوم نوح وفرعونُ وقومه؛ لأن الله لم يخصص بذلك إحدى الأمتين دون الأخرى، وقد كان أهلكهما قبل نزول هذا الخبر عنهما، فهما مَعْنيتان به.

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٤٠﴾ يقول تعالى ذكره: ولم يكن الله ليهلك هؤلاء الأمم الذين أهلكهم، بذنوب غيرهم، فيظلمَهم بإهلاكه إياهم بغير استحقاق، بل إنما أهلكهم بذنوبهم، وكفرهم بربهم، وجحودهم نعمه عليهم، مع تتابع إحسانه عليهم، وكثرة أياديه عندهم، ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بتصرُّفهم في نعم ربهم، وتقلبهم في آلائه وعبادتهم غيره، ومعصيتهم من أنعم عليهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ قال الكسائي: ﴿فَكُلًّا﴾ منصوب بـ﴿أَخَذْنَا﴾ أي: أخذنا كلًّا بذنبه ﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ يعني: قوم لوط والحاصب ريح يأتي بالحصباء وهي الحصى الصغار وتستعمل في كل عذاب ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ يعني: ثمودا وأهل مدين ﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ يعني: قارون ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ قوم نوح وقوم فرعون ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ لأنه أنذرهم وأمهلهم وبعث إليهم الرسل وأزاح العذر.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن هؤلاء الأمم المكذبة للرسل كيف أبادهم وتنوع في عذابهم، فأخذهم بالانتقام منهم، فعاد قوم هود، وكانوا يسكنون الأحقاف وهي قريبة من حضرموت ببلاد اليمن، وثمود قوم صالح، وكانوا يسكنون الحجر قريبًا من وادي القرى. وكانت العرب تعرف مساكنهما جيدًا، وتمر

عليها كثيرًا. وقارون صاحب الأموال الجزيلة ومفاتيح الكنوز الثقيلة. وفرعون ملك مصر في زمان موسى ووزيره هامان القبطيان الكافران بالله ورسوله.

﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ أي: كانت عقوبته بما يناسبه، ﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾، وهم عاد، وذلك أنهم قالوا: مَنْ أشدُّ منا قوة؟ فجاءتهم ريح صرصر باردة شديدة البرد، عاتية شديدة الهبوب جدًّا، تحمل عليهم حصباء الأرض فتقلبها عليهم، وتقتلعهم من الأرض فترفع الرجل منهم إلى عَنَان السماء، ثم تنكسه على أم رأسه فتشدخه فيبقى بدنًا بلا رأس، كأنهم أعجاز نخل منقعر. ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ﴾، وهم ثمود، قامت عليهم الحجة وظهرت لهم الدلالة، من تلك الناقة التي انفلقت عنها الصخرة، مثل ما سألوا سواء بسواء، ومع هذا ما آمنوا بل استمروا على طغيانهم وكفرهم، وتهددوا نبي الله صالحًا ومَنْ آمن معه، وتوعَّدوهُم بأن يخرجوهم ويرجموهم، فجاءتهم صيحة أخمدت الأصوات منهم والحركات. ﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾، وهو قارون الذي طغى وبغى وعتا، وعصى الرب الأعلى، ومشى في الأرض مرحًا، وفرح ومرح وتاه بنفسه، واعتقد أنه أفضل من غيره، واختال في مشيته، فخسف الله به وبداره الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة. ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾، وهم فرعون ووزيره هامان، وجنوده عن آخرهم، أغرقوا في صبيحة واحدة، فلم ينج منهم مخبر، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ أي: فيما فعل بهم، ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ أي: إنما فعل ذلك بهم جزاءً وفاقًا بما كسبت أيديهم.

وهذا الذي ذكرناه ظاهر سياق الآية، وهو من باب اللف والنشر، وهو أنه

ذكر الأمم المكذبة، ثم قال: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾، أي: من هؤلاء المذكورين، وإنما نبهتُ على هذا لأنه قد روي أن ابن جريج قال: قال ابن عباس في قوله: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾، قال: قوم لوط. ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَاۚ﴾، قال: قوم نوح.

وهذا منقطع عن ابن عباس؛ فإن ابن جُرْيَج لم يدركه. ثم قد ذكر في هذه السورة إهلاك قوم نوح بالطوفان، وقوم لوط بإنزال الرجز من السماء، وطال السياقُ والفصلُ بين ذلك وبين هذا السياق.

وقال قتادة: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ قال: قوم لوط، ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ﴾، قوم شعيب. وهذا بعيد أيضًا لما تقدم، والله أعلم.



قَالَ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ
ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۖ لَوْ كَانُواْ
يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا
ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً
لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ
ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا
تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾

[العنكبوت: ٤١-٤٥]

س: وضح معنى ما يلي:

﴿أَوْلِيَآءَ -أَوْهَنَ -نَضْرِبُهَا -ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾.

ج:

| الكلمة | معناها |
|---|---|
| ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ | أنصارًا |
| ﴿أَوْهَنَ﴾ | أضعف |
| ﴿نَضْرِبُهَا﴾ | نُبيِّنها |
| ﴿ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ | العلماء |



## ضعف المستند الذي يستند إليه أهل الشرك

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾.

ج: هذا مثل ضُرب لبيان بطلان ما عليه أهل الشرك من اعتقادهم بأن آلهتهم تنصرهم من دون الله أو تغني عنهم من عذاب الله من شيء، وحاصل المعنى -والله أعلم- مثل الذين اتخذوا أصنامًا وأوثانًا يعبدونها مع الله، ويجعلونها شريكة الله، وكذا يعبدونها ويتركون عبادة الله، يطلبون بذلك نصرتها لهم عند الشدائد كمثل العنكبوت التي اتخذت بيتًا يحميها ويُكنُّها فلما حلَّ بالعنكبوت ما حلَّ لم ينفعها بيتها ولم يحفظها من المطر ولا الريح، وذلك لأنه بيتٌ ضعيف فلم يغن عن العنكبوت شيء، وكذا الآلهة التي هي

الأوثان والأصنام، وكل معبود عبد من دون الله لا يملك لعابديه شيئًا ولا يغني عنه من عذاب الله من شيء، فالأصنام والأوثان والآلهة المعبودة من دون الله، شبِّهت ببيت العنكبوت في كونها لا تغني عن عابديها شيئًا.

ثم قال تعالى: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ لو كان هؤلاء يعلمون علمًا ينتفعون به، والله أعلم.

**قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

**يقول تعالى ذكره:** مثل الذين اتخذوا الآلهة والأوثان من دون الله أولياء يرجون نَصْرها ونفعها عند حاجتهم إليها في ضعف احتيالهم، وقبح رواياتهم، وسوء اختيارهم لأنفسهم، ﴿ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ في ضعفها، وقلة احتيالها لنفسها، ﴿ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ لنفسها، كيما يُكنها، فلم يغن عنها شيئًا عند حاجتها إليه، فكذلك هؤلاء المشركون لم يغن عنهم حين نزل بهم أمر الله، وحلّ بهم سخطه أولياؤُهم الذين اتخذوهم من دون الله شيئًا، ولم يدفعوا عنهم ما أحلَّ الله بهم من سخطه بعبادتهم إياهم.

**وأورد بإسناد حسن عن قَتادة:** قوله: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ قال: هذا مثل ضربه الله للمشرك مَثل إلهه الذي يدعوه من دون الله كمثل بيت العنكبوت واهن ضعيف لا ينفعه.

**وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد:** في قوله: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ قال: هذا مثل ضربه الله، لا يغني أولياؤهم عنهم شيئًا، كما لا يغني العنكبوت بيتها هذا.

وقوله: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ ﴾ يقول: إن أضعف البيوت ﴿لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ يقول تعالى ذكره: لو كان هؤلاء الذين اتخذوا من دون الله

أولياء، يعلمون أن أولياءهم الذين اتخذوهم من دون الله في قلة غنائهم عنهم، كغناء بيت العنكبوت عنها، ولكنهم يجهلون ذلك، فيحسبون أنهم ينفعونهم ويقرِّبونهم إلى الله زلفى.

**وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله، يرجون نصرهم ورزقهم، ويتمسكون بهم في الشدائد، فهم في ذلك كبيت العنكبوت في ضعفه ووهنه فليس في أيدي هؤلاء من آلهتهم إلا كمَنْ يتمسك ببيت العنكبوت، فإنه لا يجدي عنه شيئًا، فلو عَلموا هذا الحال لما اتخذوا من دون الله أولياء، وهذا بخلاف المسلم المؤمن قلبه لله، وهو مع ذلك يحسن العمل في اتباع الشرع فإنه مستمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها، لقوتها وثباتها.

**وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿لَوْ﴾ متعلقة ببيت العنكبوت أي: لو علموا أن عبادة الأوثان كاتخاذ بيت العنكبوت التي لا تغني عنهم شيئًا وأن هذا مثلهم لما عبدوها؛ لا أنهم يعلمون أن بيت العنكبوت ضعيف.

**وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (التفسير القيم):**

**قول الله تعالى ذكره:**

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾.

فذكر سبحانه أنهم ضعفاء، وأن الذين اتخذوهم أولياء هم أضعف منهم. فهم في ضعفهم وما قصدوه من اتخاذ الأولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتًا. وهو أوهن البيوت وأضعفها.

وتحت هذا المثل أن هؤلاء المشركين أضعف ما كانوا حين اتخذوا من دون الله أولياء. فلم يستفيدوا بمن اتخذوهم أولياء إلا ضعفًا كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨١-٨٢] وقال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَهُمۡ وَهُمۡ لَهُمۡ جُندٞ مُّحۡضَرُونَ﴾ [يس: ٧٤-٧٥] وقال بعد أن ذكر إهلاك الأمم المشركين: ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡۖ فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ﴾ [هود: ١٠١] فهذه أربعة مواضع في القرآن تدل على أن من اتخذ من دون الله وليًّا يتعزز به، ويتكبر به، ويستقر به لم يحصل له به إلا ضد مقصوده.

وفي القرآن أكثر من ذلك، وهذا من أحسن الأمثال وأدلها على بطلان الشرك وخسارة صاحبه وحصوله على ضد مقصوده.

فإن قيل: فهم يعلمون أن أوهن البيوت بيت العنكبوت فكيف نفى عنهم علم ذلك بقوله: ﴿لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾.

**فالجواب:** أنه سبحانه لم ينف عنهم علمهم بوهن بيت العنكبوت، وإنما نفى عنهم علمهم بأن اتخاذهم أولياء من دونه كالعنكبوت اتخذت بيتًا، فلو علموا ذلك ما فعلوه، ولكن ظنوا أن اتخاذهم الأولياء من دونه يفيدهم عزًّا وقدرة. فكان الأمر بخلاف ما ظنوه.



**س: في قوله تعالى: ﴿مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٍ﴾ قراءتان وضحهما.**

ج: القراءة الأولى بالياء ﴿يَدۡعُونَ﴾، والثانية بالتاء ﴿**تدعون**﴾.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، إن الله يعلم الأشياء التي يعبدونها من دون الله، أي شيء كان، وأنه -أي: هذا الشيء المعبود- ضعيف لا يملك لنفسه فضلًا عن غيره شيئًا، والله هو العزيز الغالب الذي ينفذ حكمه ومراده في خلقه الحكيم فيما يشرع.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اختلف القرّاء في قراءة قوله: (إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ ما تَدْعُونَ) فقرأته عامة قرّاء الأمصار (تَدْعُونَ) بالتاء بمعنى الخطاب لمشركي قريش ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ أيها الناس، (يَعْلَمُ مَا تَدْعُونَ) إِلَيْهِ (مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ). وقرأ ذلك أبو عمرو: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ﴾ بالياء بمعنى الخبر عن الأمم، إن الله يعلم ما يدعو هؤلاء الذين أهلكناهم من الأمم ﴿مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ﴾.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا، قراءة من قرأ بالتاء؛ لأن ذلك لو كان خبرًا عن الأمم الذين ذكر الله أنه أهلكهم، لكان الكلام: إنَّ اللهَ يَعْلَمُ ما كانوا يدعون، لأن القوم في حال نزول هذا الخبر على نبي الله لم يكونوا موجودين، إذ كانوا قد هلكوا فبادوا، وإنما يقال: (إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ ما تَدْعُونَ) إذا أريد به الخبر عن موجودين، لا عمن قد هلك.

فتأويل الكلام إذ كان الأمر كما وصفنا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ﴾ أيها القوم، حال ما تعبدون ﴿مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ﴾، وأن ذلك لا ينفعكم ولا يضرُّكم، إن أراد الله

بكم سوءًا، ولا يغني عنكم شيئًا، وإن مثله في قلة غنائه عنكم، مَثَلُ بيت العنكبوت في غَنائه عنها.

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ يقول: والله العزيز في انتقامه ممن كفر به، وأشرك في عبادته معه غيره فاتقوا أيها المشركون به، عقابه بالإيمان به قبل نزوله بكم، كما نزل بالأمم الذين قصَّ الله قصصهم في هذه السورة عليكم، فإنه إن نزل بكم عقابُه لم تغن عنكم أولياؤكم الذين اتخذتموهم من دونه أولياء، كما لم يُغْنِ عنهم من قبلكم أولياؤهم الذين اتخذوهم من دونه، الحكيم في تدبيره خلقه فمُهلك من استوجب الهلاك في الحال التي هلاكه صلاح، والمؤخر من أخَّر هلاكه من كفرة خلقه به إلى الحين الذي في هلاكه الصلاح.

**وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

ثم قال تعالى متوعدًا لِمَنْ عبد غيره وأشرك به: إنه تعالى يعلم ما هم عليه من الأعمال، ويعلم ما يشركون به من الأنداد، وسيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم.

**وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٍ﴾ ﴿مَا﴾ بمعنى الذي و﴿مِن﴾ للتبعيض ولو كانت زائدة للتوكيد لانقلب المعنى والمعنى: إن الله يعلم ضعف ما يعبدون من دونه.



**س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ٤٣﴾؟**

ج: المعنى، وهذه الأمثال التي نسوقها في الكتاب العزيز نبينها ونظهرها ونمثلها ونشبهها ونحتج بها ﴿لِلنَّاسِ﴾، وما يفهمها وما يتدبرها وما يعلم معناها إلا الراسخون في العلم، العالمون بالله وآياته.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ يقول تعالى ذكره: وهذه الأمثال، وهي الأشباه والنظائر ﴿نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ يقول: نمثلها ونشبهها ونحتجُّ بها للناس، كما قال الأعشى:

هَلْ تَذْكُرُ العَهْدَ مِنْ تَنَمَّصَ إذْ تَضْرِبُ لي قاعِدًا بِها مَثَلا

﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وما يعقل أنه أصيب بهذه الأمثال التي نضربها للناس منهم الصواب والحقّ فيما ضربت له مثلًا ﴿إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ بالله وآياته.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا﴾ أي: هذا المثل وغيره مما ذكر في ( البقرة ) و( الحج ) وغيرهما ﴿نَضْرِبُهَا﴾ نبينها ﴿لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ﴾ أي: يفهمها ﴿إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ أي: العالمون بالله.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

ثم قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ أي: وما يفهمها ويتدبرها إلا الراسخون في العلم المتضلعون منه.



## إيضاح معنى قوله تعالى: ﴿بِٱلۡحَقِّۚ﴾

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٤﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – أن الله ﷻ خلق السموات والأرض لإقامة الحق والعدل إن في ذلك لدلالة على وحدانيته وقدرته، لكن لا يتفطن لذلك إلا أهل الإيمان ولا يستدل بذلك على وحدانيته إلا هؤلاء المؤمنون.

وإن كان من العلماء قد أورد معاني أُخر لكلمة الحق:

منها: أنه سبحانه الذي خلقها وحده لا شريك له لم يشاركه أحدٌ في خلقها فيكون المعنى حقًّا إن الله ﷻ هو الذي خلق السموات والأرض وحده لا شريك له.

الثاني: أنه سبحانه وتعالى خلق السموات والأرض لإقامة الحق وتكون الباء في قوله بمعنى اللام فحروف الجر تتناوب ويأتي بعضها مكان بعض كقوله: ﴿فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾ [الفرقان: ٥٩] أي: فاسأل عنه خبيرًا، وكقوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾ أي: على جذوع النخل.

فيكون المعنى خلق الله السموات والأرض لإقامة الحق، ومنه الاستدلال بخلقها على توحيده ومنه لتجزى كل نفس بما كسبت، فلم يخلقها عبثًا ولا لهوًا إنما خلقها لإقامة الحق والعدل.

الثالث: أنه سبحانه خلق السموات والأرض بكلمته التي هي الحق وبقدرته التي هي حق.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

**يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ:** خلق الله يا محمد، السموات والأرض وحده منفردًا بخلقها، لا يشركه في خلقها شريك ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ يقول: إن في خلقه ذلك لحجة لمن صدق بالحجج إذا عاينها، والآيات إذا رآها.

**وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:**

يقول تعالى مخبرًا عن قدرته العظيمة: أنه خلق السموات والأرض بالحق، يعني: لا على وجه العبث واللعب، ﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ١٥]، ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: لدلالة واضحة على أنه تعالى المتفرد بالخلق والتدبير والإلهية.

**وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:**

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أي: بالعدل والقسط وقيل: بكلامه وقدرته وذلك الحق ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ أي: علامة ودلالة ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ المصدقين.



**س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾.**

**ج: أما معنى قوله تعالى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾.**

**ففيه وجهان:**

**أحدهما:** اقرأ القرآن.

**ثانيهما:** اتبع القرآن.

* أما قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ حافظ عليها وأدِّها على وجهها

الصحيح بفرائضها وشرائطها وواجباتها وفي أوقاتها.

* أما قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ فحاصل معناه والله أعلم: إن الصلاة بالاستمرار عليها والمداومة عليها تنهى صاحبها عن الفحشاء، وهي كل ما فحش خطؤه من القول والعمل. والمنكر: كل ما يخالف أمر الله ﷻ وأمر رسوله ﷺ وتستنكره.

فحاصل الأمر أن الصلاة بما فيها من قرآن يتلى، وبما فيها من توقيرٍ لله ﷻ وتنزيهه وبما فيها من مراقبة الله ﷻ تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر وهذا في غالب الأحوال.

فغالب الحال أن المصلين أبعد الناس عن الفحشاء والمنكر، وإن كان قد يصدر من بعضهم ما يخلُّ بذلك لكن الأمر أغلبي، والله أعلم.

والوجه الثاني للعلماء في كون الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، أن المصلي أثناء صلاته يكون بعيدًا عن الفحشاء والمنكر.

ووجه ثالث: أن الصلاة تُغسل بها ذنوب العبد وتزول فلا يتراكم ذنبٌ فوق ذنب بما يؤول إلى ارتكاب الفحشاء والمنكر، والله أعلم.

أما قوله: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ فحاصل معناه: أن العبد إذا صلى فذكر الله ﷻ في صلاته، ذكره الله ذكرًا أعظم وأكبر من ذِكره لله في الصلاة فذكر الله لك يا عبد الله إذا أنت ذكرته في صلاتك أعظم من ذكرك له.

أما قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ فحاصل معناه: أن الله يراقبك يا عبد الله فأتقن صلاتك واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك، وأكثر من ذكر الله فربك مطلع على كل هذا، ومجازيك به، والله أعلم، وبنحو ما ذكرت قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿ٱتۡلُ﴾ يعني: اقرأ ﴿مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ يعني: ما أنزل إليك من هذا القرآن ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ﴾ يعني: وأدِّ الصلاة التي فرضها الله عليك بحدودها ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى الصلاة التي ذُكرت في هذا الموضع، فقال بعضهم: عنى بها القرآن الذي يقرأ في موضع الصلاة، أو في الصلاة.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال آخرون: بل عنى بها الصلاة.

وأورد الطبري آثارًا كثيرةً بذلك واختار الطبري أن المراد الصلاة نفسها.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فإن قال قائل: وكيف تنهى الصلاة عن الفحشاء والمنكر إن لم يكن معنيًّا بها ما يتلى فيها؟ قيل: تنهى من كان فيها، فتحول بينه وبين إتيان الفواحش، لأن شغله بها يقطعه عن الشغل بالمنكر، ولذلك قال ابن مسعود: من لم يطع صلاته لم يزدد من الله إلا بعدًا. وذلك أن طاعته لها إقامته إياها بحدودها، وفي طاعته لها مزدجر عن الفحشاء والمنكر.

وأخرج الطبري بسندٍ صحيح من طريق محمد بن أبي موسى، قال: كنت قاعدًا عند ابن عباس، فجاءه رجل، فسأل ابن عباس عن ذكر الله أكبر، فقال ابن عباس: الصلاة والصوم، قال: ذاك ذكر الله، قال رجل: إني تركت رجلًا في رحلي يقول غير هذا، قال: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ قال: ذكر الله العباد أكبر من ذكر العباد إياه، فقال ابن عباس: صدق والله صاحبك.

وله طرق عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا مفادها ذكر الله لكم أكبر من ذكركم له.

**وأورد الطبري أثر أبي الدرداء وهو صحيح موقوفًا عليه قال:**

«ألا أخبركم بخير أعمالكم وأحبها إلى مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير من أن تغزوا عدوَّكم، فتضربوا أعناقهم، وخير من إعطاء الدنانير والدراهم؟ قالوا: ما هو؟ قال: ذكركم ربكم، وذكر الله أكبر».

**وأورد الطبري قولًا آخر في معنى قوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ حاصله ولذكركم الله أفضل من كل شيء.**

**وأورد أقوالًا أُخر منها:**

لذكر الله العبد في الصلاة أكبر من الصلاة وقول آخر: وللصلاة التي أتيت أنت بها وذِكرك الله فيها أكبر مما نهتك الصلاة من الفحشاء والمنكر.

**قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

وأشبه هذه الأقوال بما دلّ عليه ظاهر التنزيل، قول من قال: ولذكر الله إياكم أفضل من ذكركم إياه.

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ يقول: والله يعلم ما تصنعون أيها الناس في صلاتكم، من إقامة حدودها، وترك ذلك وغيره من أموركم، وهو مجازيكم على ذلك، يقول: فاتقوا أن تضيعوا شيئًا من حدودها، والله أعلم.

**وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

ثم قال تعالى آمرًا رسوله والمؤمنين بتلاوة القرآن، وهو قراءته وإبلاغه للناس: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ يعني: أن الصلاة تشتمل على شيئين: على ترك الفواحش والمنكرات، أي: إن مواظبتها تحمل على ترك ذلك. وقد جاء في الحديث من رواية عمران، وابن عباس مرفوعًا: «**مَنْ لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر،**

**لم تزده من الله إلا بعدًا»**.

قلت: وهذا الحديث ضعيف من الطرق التي وقفت عليها وقد أورده الحافظ ابن كثير.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾ يريد إن الصلوات الخمس هي التي تكفر ما بينها من الذنوب كما قال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء**» قالوا: لا يبقى من درنه شيء. قال: «**فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا**» خرجه الترمذي من حديث أبي هريرة وقال فيه: حديث حسن صحيح. وقال ابن عمر: الصلاة هنا القرآن والمعنى: الذي يتلى في الصلاة ينهى عن الفحشاء والمنكر وعن الزنى والمعاصي.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا:

ثم أخبر حكمًا منه بأن الصلاة تنهى صاحبها وممتثلها عن الفحشاء والمنكر وذلك لما فيها من تلاوة القرآن المشتمل على الموعظة والصلاة تشغل كل بدن المصلي فإذا دخل المصلي في محرابه وخشع وأخبت لربه وادكر أنه واقف بين يديه وأنه مطلع عليه ويراه صلحت لذلك نفسه وتذللت وخامرها ارتقاب الله تعالى وظهرت على جوارحه هيبتها ولم يكد يفتر من ذلك حتى تظله صلاة أخرى يرجع بها إلى أفضل حالة فهذا معنى هذه الأخبار لأن صلاة المؤمن هكذا ينبغي أن تكون

قلت: لا سيما وإن أشعر نفسه أن هذا ربما يكون آخر عمله وهذا أبلغ في المقصود وأتم في المراد فإن الموت ليس له سن محدود ولا زمن مخصوص

ولا مرض معلوم وهذا مما لا خلاف فيه وروي عن بعض السلف أنه كان إذا قام إلى الصلاة ارتعد واصفر لونه فكلم في ذلك فقال: إني واقف بين يدي الله تعالى وحق لي هذا مع ملوك الدنيا فكيف مع ملك الملوك، فهذه صلاة تنهى ولا بد عن الفحشاء والمنكر ومن كانت صلاته دائرة حول الإجزاء لا خشوع فيها ولا تذكر ولا فضائل كصلاتنا - وليتها تجزي - فتلك تترك صاحبها من منزلته حيث كان فإن كان على طريقة معاصي تبعده من الله تعالى تركته الصلاة يتمادى على بعده وعلى هذا يخرج الحديث المروي عن ابن مسعود والحسن والأعمش قولهم: «**من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله إلا بعدًا**» وقد روي أن الحسن أرسله عن النبي ﷺ وذلك غير صحيح السند، قال ابن عطية: سمعت أُبي رضي الله عنه يقول: فإذا قررنا ونُظِر معناه فغير جائز أن يقول إن نفس صلاة العاصي تبعده من الله حتى كأنها معصية وإنما يتخرج ذلك على أنها لا تؤثر في تقريبه من الله بل تتركه على حاله ومعاصيه من الفحشاء والمنكر والبعد فلن تزده الصلاة إلا تقرير ذلك البعد الذي كان سبيله فكأنها بعدته حين لم تكف بعده عن الله وقيل لابن مسعود: إن فلانا كثير الصلاة فقال: إنها لا تنفع إلا من أطاعها.

**وقال القرطبي رحمه الله:**

قوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي: ذكر الله لكم بالثواب والثناء عليكم أكبر من ذكركم له في عبادتكم وصلواتكم.

وقال: وقيل: ذكركم الله في صلاتكم وفي قراءة القرآن أفضل من كل شيء، وقيل: المعنى إن ذكر الله أكبر مع المداومة من الصلاة في النهي عن الفحشاء والمنكر، وقال الضحاك: ولذكر الله عندما يحرم فيترك أجل الذكر وقيل:

المعنى ولذكر الله للنهي عن الفحشاء المنكر أكبر أي كبير وأكبر يكون بمعنى كبير وقال ابن زيد وقتادة: ولذكر الله أكبر من كل شيء أي أفضل من العبادات كلها بغير ذكر وقيل: ذكر الله يمنع من المعصية فإن من كان ذاكرًا له لا يخالفه قال ابن عطية: وعندي أن المعنى ولذكر الله أكبر على الإطلاق أي: هو الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر.



## قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ
مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ
وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ
ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا
ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا
لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ
وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ
مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ
أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ
وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ
يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ
بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

[العنكبوت: ٤٦-٥٢]

س: وضح معنى ما يلي:

﴿ يَجْحَدُ - لَّآرْتَابَ - ٱلْمُبْطِلُونَ - بَيِّنَٰتٌ - بِٱلْبَٰطِلِ - وَذِكْرَىٰ ﴾

ج:

| الكلمة | معناها |
|---|---|
| ﴿يَجْحَدُ﴾ | يكفر – ينكر |
| ﴿لَّآرْتَابَ﴾ | لتشكك |
| ﴿ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ | أهل الباطل، أهل الشرك – أتباع الشيطان |
| ﴿بَيِّنَٰتٌ﴾ | واضحات |
| ﴿وَذِكْرَىٰ﴾ | موعظة |
| ﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾ | بالشيطان، وما يدعو إليه من الشرك |



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ٤٦ ﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: ولا تجادلوا يا أهل الإيمان أهل الكتاب، الذين هم اليهود والنصارى إلا بالطريقة الحسنة التي تؤتي أكلها بإذن ربها بلين الخطاب وجميل الكلام وبيان الحجة أجمل بيان وأتم بيان، كما قال تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣] وكما قال: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ﴾ [النحل: ١٣٥] وكما قال: ﴿وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلَۢا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣].

وكما قال تعالى في شأن فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه:

٤٤] ونحو ذلك من طيب الكلام ونافعه، لكن الذين ظلموا منهم وظهر منهم أنهم لا يريدون التوصل إلى الحق بل يريدون تضليل العباد وغش العباد والمراوغة والمراد فهؤلاء يُشتد عليهم كما قال تعالى: ﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التحريم: ٩]، فهؤلاء الذين منهم من يدعى لله الولد، ومن يقول إن الله فقير ونحن أغنياء ومن يقول يد الله مغلولة، ومن يجعل لله الولد والشريك، ومن يطعن في رسول الله، كلهم داخلون في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ فهؤلاء يُشتد عليهم، أما غيرهم فيُخاطبوا بالحسنى وقولوا لهم يا أهل الإيمان عند مجادلتكم لهم آمنا بالقرآن الذي أنزل إلينا على لسان نبينا محمد ﷺ وآمنا بالذي أنزل على أنبيائكم يا أهل الكتاب آمنا بالتوراة التي أُنزلت على موسى عليه السلام آمنا بالإنجيل الذي أنزل على عيسى عليه السلام آمنا بكل الكتب وبكل الرسل التي أنزلها الله والتي أرسلها الله. وإلهنا الذي نعبده هو الله إله واحد هو ربنا وربكم هو إلهنا وإلهكم ونحن له مستسلمون خاضعون سامعون مطيعون.

هذا، ومن أهل العلم من كان يرى أن الآية الكريمة ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ منسوخة بقوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ وقال فريق: إن قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ هم الذين لا يؤدون الجزية، وأرى الذي قدمته أولى من أنه لا نسخ، والله أعلم.

**وهذه أقوال بعض العلماء في هذه الآية الكريمة.**

**قال الطبري رحمه الله:**

**يقول تعالى ذكره:** ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ ﴾ أيها المؤمنون بالله وبرسوله اليهود والنصارى، وهم ﴿أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ يقول: إلا بالجميل من القول، وهو الدعاء إلى الله بآياته، والتنبيه على حُججه.

وقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: معناه: إلا الذين أبوا أن يقرّوا لكم بإعطاء الجزية، ونصبوا دون ذلك لكم حربًا، فإنهم ظلمة، فأولئك جادلوهم بالسيف حتى يسلموا، أو يعطوا الجزية.

**قال الطبري:**

وقال آخرون: معنى ذلك: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ الذين قد آمنوا به، واتبعوا رسوله فيما أخبروكم عنه مما في كتبهم ﴿إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ فأقاموا على كفرهم، وقالوا: هذه الآية محكمة، وليست بمنسوخة.

**وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد:** في قوله: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ قال: ليست بمنسوخة، لا ينبغي أن تجادل من آمن منهم، لعلهم يحسنون شيئًا في كتاب الله لا تعلمه أنت فلا تجادله، ولا ينبغي أن تجادل إلا الذين ظلموا، المقيمَ منهم على دينه. فقال: هو الذي يُجادَلُ، ويقال له بالسيف، قال: وهؤلاء يهود. قال: ولم يكن بدار الهجرة من النصارى أحد، إنما كانوا يهودًا هم الذي كلَّموا وحالفوا رسول الله ﷺ، وغدرت النضير يوم أُحد، وغدرت قُريظة يوم الأحزاب.

**وقال آخرون:** بل نزلت هذه الآية قبل أن يؤمر النبيُّ ﷺ بالقتال، وقالوا: هي منسوخة، نسخها قوله: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾

[التوبة: ٢٩].

عن قَتادة، قوله: ﴿وَلَا تُجَادِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ ثم نسخ بعد ذلك، فأمر بقتالهم في سورة براءة، ولا مجادلة أشدّ من السيف، أن يقاتلوا حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله ﷺ، أو يقرّوا بالخراج.

وأولى هذه الأقوال بالصواب، قول من قال: عني بقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾: إلا الذين امتنعوا من أداء الجزية، ونصبوا دونها الحرب.

فإن قال قائل: أو غير ظالم من أهل الكتاب إلا من لم يؤدّ الجزية؟ قيل: إن جميعهم، وإن كانوا لأنفسهم بكفرهم بالله، وتكذيبهم رسوله محمدا ﷺ، ظلمة، فإنه لم يعن بقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾. ظلم أنفسهم. وإنما عنى به: إلا الذين ظلموا منهم أهل الإيمان بالله ورسوله محمد ﷺ، فإن أولئك جادلوهم بالقتال.

وإنما قلنا: ذلك أولى الأقوال فيه بالصواب؛ لأن الله تعالى ذكره أذن للمؤمنين بجدال ظلمة أهل الكتاب، بغير الذي هو أحسن بقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ فمعلوم إذ كان قد أذن لهم في جدالهم أن الذين لم يؤذن لهم في جدالهم إلا بالتي هي أحسن غير الذين أذن لهم بذلك فيهم، وأنهم غير المؤمن؛ لأن المؤمن منهم غير جائز جداله إلا في غير الحقّ، لأنه إذا جاء بغير الحق، فقد صار في معنى الظلمة في الذي خالف فيه الحقّ، فإذا كان ذلك كذلك، تبين أن لا معنى لقول من قال: عنى بقوله: ﴿وَلَا تُجَادِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أهل الإيمان منهم، وكذلك لا معنى لقول من قال: نزلت هذه الآية قبل الأمر بالقتال، وزعم أنها منسوخة؛ لأنه لا خبر بذلك يقطع العذر،

ولا دلالة على صحته من فطرة عقل.

وقد بيَّنا في غير موضع من كتابنا، أنه لا يجوز أن يحكم على حكم الله في كتابه بأنه منسوخ إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر أو عقل.

وقوله: ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله، الذين نهاهم أن يجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن: إذا حدثكم أهل الكتاب أيها القوم عن كتبهم، وأخبروكم عنها بما يمكن ويجوز أن يكونوا فيه صادقين، وأن يكونوا فيه كاذبين، ولم تعلموا أمرهم وحالهم في ذلك، فقولوا لهم: ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾ مما في التوراة والإنجيل، ﴿وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ﴾ يقول: ومعبودنا ومعبودكم واحد ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ يقول: ونحن له خاضعون متذللون بالطاعة فيما أمرنا ونهانا.

وأورد الطبري حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال[1]: كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية، فيفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تُصَدِّقُوا أهْلَ الكِتابِ وَلا تُكَذِّبُوهُم**، ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾».

**وقال ابن كثير رحمه الله:**

**قال قتادة وغير واحد:** هذه الآية منسوخة بآية السيف، ولم يبق معهم مجادلة، وإنما هو الإسلام أو الجزية أو السيف.

**وقال آخرون:** بل هي باقية أو محكمة لِمَنْ أراد الاستبصار منهم في الدين، فيجادل بالتي هي أحسن، ليكون أنجع فيه، كما قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ

(١) البخاري (٤٤٨٥، ٧٣٦٢).

بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال تعالى لموسى وهارون حين بعثهما إلى فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤]. وهذا القول اختاره ابن جرير، وحكاه عن ابن زيد.

وقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْۖ﴾ أي: حادوا عن وجه الحق، وعَمُوا عن واضح المحجة، وعاندوا وكابروا، فحينئذٍ ينتقل من الجدال إلى الجلاد، ويقاتلون بما يردعهم ويمنعهم، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحديد: ٢٥].

قال جابر: أمِرْنَا من خالف كتاب الله أن نضربه بالسيف.

**قال مجاهد:** ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْۖ﴾ يعني: أهل الحرب، وَمَنِ امتنع منهم عن أداء الجزية.

وقوله: ﴿وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾، يعني: إذا أخبروا بما لا يعلم صدقه ولا كذبه، فهذا لا نُقدم على تكذيبه؛ لأنه قد يكون حقًّا، ولا على تصديقه، فلعله أن يكون باطلًا ولكن نؤمن به إيمانًا مجملًا معلقًا على شرط وهو أن يكون منزلًا لا مبدلًا ولا مؤولًا.

**وأورد ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث البخاري الذي قدمناه.**

**وأورد رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا[1] وفيه:** كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء، وكتابكم الذي أنزل إليكم على رسوله ﷺ أحدث تقرؤونه محضًا لم يُشَب، وقد حدَثَكم أن أهل الكتاب بدَّلوا كتاب الله، وغيروه وكتبوا بأيديهم

(١) البخاري (٧٣٦٣).

الكتاب، وقالوا: هو من عند الله، ليشتروا به ثمنًا قليلًا؟ ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم؟ لا والله ما رأينا منهم رجلًا يسألكم عن الذي أنزل عليكم.

وكذا أورد ما أخرجه البخاري[1] من طريق حُمَيد بن عبد الرحمن: أنه سمع معاوية يحدث رهطًا من قريش بالمدينة -وذكرَ كعبَ الأحبار- فقال: إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب، وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب.

قال ابن كثير:

قلت: معناه أنه يقع منه الكذب لغة من غير قصد؛ لأنه يحدث عن صحف هو يحسن بها الظن، وفيها أشياء موضوعة ومكذوبة؛ لأنهم لم يكن في ملتهم حفاظ متقنون كهذه الأمة العظيمة، ومع ذلك وقرب العهد وضعت أحاديث كثيرة في هذه الأمة، لا يعلمها إلا الله ومن منحه الله علمًا بذلك، كل بحسبه، ولله الحمد والمنة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اختلف العلماء في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ فقال مجاهد: هي محكمة فيجوز مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن على معنى الدعاء لهم إلى الله ٥ والتنبيه على حججه وآياته رجاء إجابتهم إلى الإيمان لا على طريق الإغلاظ والمخاشنة وقوله على هذا: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ معناه: ظلموكم وإلا فكلهم ظلمة على الإطلاق وقيل: المعنى لا تجادلوا من آمن بمحمد ﷺ من أهل الكتاب المؤمنين كعبد الله بن سلا م ومن آمن معه ﴿إِلَّا

(١) البخاري (٧٣٦١).

﴿بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ أي: بالموافقة فيما حدثوكم به من أخبار أوائلهم وغير ذلك وقوله على هذا التأويل: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ يريد به من بقي على كفره منهم كمن كفر وغدر من قريظة والنضير وغيرهم والآية على هذا أيضًا محكمة وقيل: هذه الآية منسوخة بآية القتال وقوله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٢٩] قاله قتادة. ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ أي: جعلوا لله ولدًا وقالوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ﴾ [المائدة: ٦٤] و﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ﴾ [آل عمران: ١٨١] فهؤلاء المشركون الذين نصبوا الحرب ولم يؤدوا الجزية فانتصروا منهم، قال النحاس وغيره: من قال هي منسوخة احتج بأن الآية مكية ولم يكن في ذلك الوقت قتال مفروض ولا طلب جزية ولا غير ذلك وقول مجاهد حسن؛ لأن أحكام الله ﻷ لا يقال فيها إنها منسوخة إلا بخبر يقطع العذر أو حجة من معقول واختار هذا القول ابن العربي وقال مجاهد وسعيد بن جبير: وقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ معناه إلا الذين نصبوا، للمؤمنين الحرب فجدالهم بالسيف حتى يؤمنوا أو يعطوا الجزية.



س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٧﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: وكما أنزلنا على من كان قبلك كتبًا فإنا أنزلنا إليك القرآن كذلك فالذين آتيناهم الكتاب، يؤمنون به، والمراد بهم مؤمنوا أهل الكتاب الذين آمنوا بالكتب المُنزلة على أنبيائهم، وكذا فإنهم آمنوا بالقرآن عند نزوله وقبل نزوله.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ﴾ للعلماء ففيه وجهان:

**أحدهما:** قول من قال: إن المراد بقوله: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ﴾ أن الذين آتيناهم الكتاب المعني بهم أهل الكتاب الذين كانوا على دينهم وبدينهم مستمسكين قبل مبعث النبي ﷺ، فهؤلاء كانوا مؤمنين بالقرآن قبل نزوله إذ قد أخبرت به إجمالًا كتبهم.

**فعليه فقوله:** ﴿وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ﴾ المراد به ومن أهل الكتاب المعاصرين لرسول الله ﷺ كعبد الله بن سلام وغيره يؤمنون به عند نزوله على رسول الله ﷺ وبعد نزوله.

**والقول الآخر:** أن قوله: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ﴾ هم مؤمنوا أهل الكتاب عمومًا و﴿وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ﴾ المراد: ومن أهل مكة الذين كانوا أهل شرك من يؤمن به، وهم الذين أصبحوا بعد صحابة لرسول الله ﷺ.

**أما قوله تعالى:** ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ فحاصل معناه، وما ينكر آياتنا ويكذب بها إلا الكافرون - والله أعلم.

**قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

**يقول تعالى ذكره:** كما أنزلنا الكتب على مَن قبلك يا محمد من الرسل ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ هذا ﴿ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ من قبلك من بني إسرائيل ﴿يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ﴾ يقول: ومن هؤلاء الذين هم بين ظهرانيك اليوم من يؤمن به، كعبد الله بن سلام ومن آمن برسوله من بني إسرائيل.

**وقوله:** ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وما يجحد بأدلتنا وحججنا إلا الذي يجحد نعمنا عليه، وينكر توحيدنا وربوبيتنا على علم منه عنادًا لنا.

وأورد الطبري بإسناد حسن عن قَتادة قال: إنما يكون الجحود بعد المعرفة.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ أي: الذين أخذوه فتلَوْه حق تلاوته من أحبارهم العلماء الأذكياء، كعبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي، وأشباههما.

وقوله: ﴿وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾، يعني العرب من قريش وغيرهم، ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، أي: ما يكذب بها ويجحد حقها إلا مَنْ يستر الحق بالباطل، ويغطي ضوء الشمس بالوصائل، وهيهات.



## الدليل على أن النبي ﷺ كان أميًّا

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: وما كنت يا رسول الله تقرأ قبل نزول القرآن عليك أي كتبٍ ولا تعرف الكتابة كذلك فقد كنت أُميًّا لا تقرأ ولا تكتب، وإذا كنت تقرأ وتكتب لتشكك في نبوتك أهل الباطل من أهل الكتاب وأهل الشرك فأهل الكتاب كانوا يعلمون عنك في كتبهم أنك أميٌّ لا تقرأ ولا تكتب كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾، فإذا لم تكن أميًّا عند مجيئ بعثتك لتشككوا في ذلك.

وكذا أهل الشرك من أهل مكة وغيرهم لو كنت تقرأ أو تكتب لقالوا: إنك قرأت كتبًا لغيرك وتخبرنا بما فيها، مع كونهم أيضًا قد قالوا بذلك، ولكنهم كانوا يعلمون بطلان قولهم لكون الرسول كان أميًّا.

وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَمَا كُنتَ﴾ يا محمد ﴿تَتْلُواْ﴾ يعني: تقرأ ﴿مِن قَبْلِهِۦ﴾ يعني: من قبل هذا الكتاب الذي أنزلته إليك ﴿مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ يقول: ولم تكن تكتب بيمينك، ولكنك كنت أمِّيًّا ﴿إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ يقول: ولو كنت من قبل أن يُوحَى إليك تقرأ الكتاب، أو تخطه بيمينك، ﴿إِذًا لَّٱرْتَابَ﴾ يقول: إذن لشكّ –بسبب ذلك في أمرك وما جئتهم به من عند ربك من هذا الكتاب الذي تتلوه عليهم– المبطلون القائلون: إنه سجع وكهانة، وإنه أساطير الأوّلين.

وأورد بإسناد حسن عن قَتادة: قوله: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ قال: كان نبيّ الله لا يقرأ كتابًا قبله، ولا يخطه بيمينه، قال: كان أُمِّيا، والأمّي: الذي لا يكتب.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾، أي: قد لبثت في قومك –يا محمد– ومن قبل أن تأتي بهذا القرآن عُمرًا لا تقرأ كتابًا ولا تحسن الكتابة، بل كل أحد من قومك وغيرهم يعرف أنك رجل أمي لا تقرأ ولا تكتب. وهكذا صفته في الكتب المتقدمة، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ الآية [الأعراف: ١٥٧]. وهكذا كان، صلوات الله وسلامه عليه إلى يوم القيامة، لا يحسن الكتابة ولا يخط سطرًا ولا حرفًا بيده، بل كان له كتاب يكتبون بين يديه الوحي والرسائل إلى الأقاليم. ومن زعم من

متأخري الفقهاء - كالقاضي أبي الوليد الباجي ومن تابعه- أنه عليه السلام كتب يوم الحديبية: «هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله» فإنما حمله على ذلك رواية في صحيح البخاري: «ثم أخذ فكتب»: وهذه محمولة على الرواية الأخرى: «ثم أمر فكتب». ولهذا اشتد النكير بين فقهاء المغرب والمشرق على من قال بقول الباجي، وتبرؤوا منه، وأنشدوا في ذلك أقوالًا وخطبوا به في محافلهم: وإنما أراد الرجل -أعني الباجي، فيما يظهر عنه -أنه كتب ذلك على وجه المعجزة، لا أنه كان يحسن الكتابة، كما قال عليه الصلاة والسلام إخبارًا عن الدجال[1]: «**مكتوب بين عينيه كافر**» وفي رواية: «**ك ف ر، يقرؤها كل مؤمن**».

وما أورده بعضهم من الحديث أنه لم يمت عليه السلام حتى تعلم الكتابة، فضعيف لا أصل له؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟﴾ أي: تقرأ ﴿مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ﴾ لتأكيد النفي، ﴿وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ تأكيد أيضًا، وخرج مخرج الغالب، كقوله تعالى: ﴿وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وقوله: ﴿إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ أي: لو كنت تخطها لارتاب بعض الجهلة من الناس فيقول: إنما تعلم هذا من كُتب قبله مأثورة عن الأنبياء، مع أنهم قالوا ذلك مع علمهم بأنه أمي لا يحسن الكتابة: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥]، قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦].

**قال القرطبي رحمه الله:**

**قوله تعالى:** ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ﴾ الضمير في ﴿قَبْلِهِۦ﴾ عائد إلى الكتاب وهو القرآن المنزل على محمد ﷺ أي: وما كنت يا محمد تقرأ قبله

(١) البخاري (٧١٣١).

ولا تختلف إلى أهل الكتاب بل أنزلناه إليك في غاية الإعجاز والتضمين للغيوب وغير ذلك فلو كنت ممن يقرأ كتابًا ويخط حروفًا ﴿لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾ أي: من أهل الكتاب وكان لهم في ارتيابهم متعلق وقالوا: الذي نجده في كتبنا أنه أمي لا يكتب ولا يقرأ وليس به قال مجاهد: كان أهل الكتاب يجدون في كتبهم أن محمدًا ﷺ لا يخط ولا يقرأ فنزلت هذه الآية وقال النحاس: دليلًا على نبوته لقريش لأنه لا يقرأ ولا يكتب ولا يخالط أهل الكتاب ولم يكن بمكة أهل الكتاب فجاءهم بأخبار الأنبياء والأمم وزالت الريبة والشك.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ٤٩﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم– بل هذا القرآن فيه دلالات واضحات وحجج باهرات دالة على وحدانية الله ﷻ وعلى قدرته وعلمه، محفوظة تلك الآيات في صدور أهل العلم من المؤمنين بالنبي محمد ﷺ يستدلون بها على وحدانية الله وصدق رسله، وما يجحد بآيات الله أي: وما ينكرها إلا أهل الظلم، وما يكفر بها إلا أهل الظلم، والمراد هنا أهل الكفر والعياذ بالله.

هذا، وهناك وجه آخر ذكره الطبري واختاره؛ حاصله: أن قوله تعالى: ﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ﴾ معناه: بل رسول الله ﷺ وكونه سيكون أميًّا آياتٌ مثبتات راسخات في صدور الذين أوتوا العلم من الذين أوتوا الكتاب، فإنه محفوظ في صدورهم أن النبي ﷺ سيكون أميًّا وإلى هذا

الأخير نحا الطبري في تفسيره.

وها هو قوله مع طائفة آخرين من أهل العلم.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اختلف أهل التأويل في المعني بقوله: ﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ﴾ فقال بعضهم: عنى به نبيَّ الله ﷺ، وقالوا: معنى الكلام: بل وجود أهل الكتاب في كتبهم أن محمدًا ﷺ لا يكتب ولا يقرأ، وأنه أمّي، آيات بينات في صدورهم.

وأورد الطبري بسندٍ ضعيف عن ابن عباس قوله: ﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ﴾ قال: كان الله تعالى أنزل شأن محمد ﷺ في التوراة والإنجيل لأهل العلم، وعلمه لهم، وجعله لهم آية، فقال لهم: إن آية نبوَّته أن يخرج حين يخرج لا يعلم كتابًا، ولا يخطه بيمينه، وهي الآيات البينات.

وبإسناد حسن عن قَتادة: ﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ﴾ من أهل الكتاب، صدَّقوا بمحمد ونعته ونبوَّته.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال آخرون: عنى بذلك القرآن، وقالوا: معنى الكلام: بل هذا القرآن آيات بيِّنات في صدور الذين أوتوا العلم، من المؤمنين بمحمد ﷺ.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى القولين في ذلك بالصواب، قول من قال: عنى بذلك: بل العلم بأنك ما كنت تتلو من قبل هذا الكتاب كتابا، ولا تخطه بيمينك، آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب.

وإنما قلت ذلك أولى التأويلين بالآية؛ لأن قوله: ﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي

صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَۚ ﴾ بين خبرين من أخبار الله عن رسوله محمد ﷺ، فهو بأن يكون خبرًا عنه، أولى من أن يكون خبرًا عن الكتاب الذي قد انقضى الخبر عنه قبل.

وقوله: ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ يقول تعالى ذكره: ما يجحد نبوَّة محمد ﷺ وأدلته، ويُنكر العلم الذي يعلم من كتب الله، التي أنزلها على أنبيائه، ببعث محمد ﷺ ونبوَّته ومبعثه إلا الظالمون، يعني: الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله ٥.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ ﴾ أي: القرآن آيات بينة واضحة في الدلالة على الحق، أمرًا ونهيًا وخبرًا، يحفظه العلماء، يَسَّره الله عليهم حفظًا وتلاوةً وتفسيرًا، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴾ [القمر: ١٧]، وقال رسول الله ﷺ: «**ما مِنْ نبي إلا وقد أعطي ما آمن على مثله البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا**»[(١)].

وفي حديث عياض بن حمار، في صحيح مسلم[(٢)]: «**يقول الله تعالى: إني مبتليك ومبتل بك، ومنزل عليك كتابًا لا يغسله الماء، تقرؤه نائمًا ويقظان**». أي: لو غسل الماء المحلَّ المكتوب فيه لما احتيج إلى ذلك المحل.

وقوله: ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ أي: ما يكذب بها ويبخس حقها ويردها إلا الظالمون، أي: المعتدون المكابرون، الذين يعلمون الحق

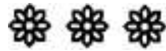
---

(١) البخاري (٧٢٧٤).
(٢) مسلم (٢٨٦٥).

ويحيدون عنه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٩٦ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٦، ٩٧].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ﴾ أي: ليس هذا القرآن كما يقوله المبطلون من أنه سحر أو شعر ولكنه علامات ودلائل يعرف بها دين الله وأحكامه وهي كذلك في صدور الذين أوتوا العلم وهم أصحاب محمد ﷺ والمؤمنون به يحفظونه ويقرؤونه ووصفهم بالعلم لأنهم ميزوا بأفهامهم بين كلام الله وكلام البشر والشياطين وقال قتادة وابن عباس: ﴿بَلۡ هُوَ﴾ يعني محمدًا ﷺ ﴿ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ﴾ من أهل الكتاب يجدونه مكتوبًا عندهم في كتبهم بهذه الصفة أميًّا لا يقرأ ولا يكتب ولكنهم ظلموا أنفسهم وكتموا، وهذا اختيار الطبري.



س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٥٠﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: وقال أهل الكفر من أهل مكة وغيرهم لولا أُنزل على محمد ﷺ معجزة من ربِّه ﷻ كالتي أوتاها صالح أو موسى أو داود أو سليمان أو عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أو غير هؤلاء.

لولا أوتي ناقة كناقة صالح أو عصًا كعصى موسى أو إلانة الحديد وتسبيح الجبال والطير كما حدث لداود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أو تسخير الريح والشياطين كما حدث لسليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أو كان يُبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله كعيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، أو غير ذلك.

فقل لهم يا رسول الله: إنما هذه المعجزات عند الله يُعطيها من يشاء وإنما أمري معكم أني لكم نذير أُنذركم عذاب الله إن أنتم بقيتم على شرككم وضلالكم، قد أبنت لكم عن خطإ ما أنتم فيه وأبنت لكم عن كوني نذير أنذركم، والله أعلم.

**قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:**

**يقول تعالى ذكره:** وقال المشركون من قريش: هلا أنزل على محمد آية من ربه، تكون حجة لله علينا، كما جعلت الناقة لصالح، والمائدة آية لعيسى؟! قل يا محمد: إنما الآيات عند الله، لا يقدر على الإتيان بها غيره ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ وإنما أنا نذير لكم، أنذركم بأس الله وعقابه على كفركم برسوله. وما جاءكم به من عند ربكم ﴿مُّبِينٌ﴾ يقول: قد أبان لكم إنذاره.

**وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:**

يقول تعالى مخبراً عن المشركين في تعنتهم وطلبهم آيات -يعنون- ترشدهم إلى أن محمدًا رسول الله كما جاء صالح بناقته، قال الله تعالى: ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: إنما أمر ذلك إلى الله، فإنه لو علم أنكم تهتدون لأجابكم إلى سؤالكم؛ لأن ذلك سهل عليه، يسير لديه، ولكنه يعلم منكم أنما قصدكم التعنت والامتحان، فلا يجيبكم إلى ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْأَيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ﴾ [الإسراء: ٥٩].

وقوله: ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أي: إنما بعثت نذيرًا لكم بَيِّنَ النذارة فَعَلَيَّ أن أبلغكم رسالة الله و﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧]، وقال تعالى: ﴿۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ﴾

[البقرة: ٢٧٢].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ هذا قول المشركين لرسول الله ﷺ ومعناه: هلا أنزل عليه آية كآيات الأنبياء؟! وقيل: كما جاء صالح بالناقة وموسى بالعصا وعيسى بإحياء الموتى أي ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ فهو يأتي بها كما يريد إذا شاء أرسلها وليست عندي ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.



س: هل صح للآية الكريمة ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ .....﴾ سبب نزول؟

ج: لم أقف لها على سبب نزولٍ صحيح.



## كون القرآن أعظم معجزة

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: أولم يكف هؤلاء السائلين عن الآيات والمعجزات أننا أنزلنا عليك يا رسول الله أعظم آية وأعظم معجزة وهي هذا القرآن الذي تتلوه عليهم تدعوهم فيه لكل خيرٍ وتحذرهم من كل شرٍّ ويكون سببًا في نجاتهم من النار ووراثتهم أعالي الجنان، فيه نبأ ما قبلهم وحكم ما بينهم وخبر ما بعدهم، قد حمل أجمل تشريع وأحسن الأحكام وجميل البيان، ترق له القلوب وتصفو له الأفئدة، وتنذرف منه الدموع لا يبلى عن

كثرة القراءة والترداد، إنه كتاب الله لا يوفيه حقه إلا الله، أولم يكف هؤلاء المشركين أنا أنزلنا عليك الكتاب العظيم باقيًا يتلى إنه حقًّا أعظم معجزة وأوضح آية وأعظم بيان إن في ذلك القرآن لرحمة يرحم الله بها العباد إذا اهتدوا بهديه واستقاموا على أمره، و﴿وَذِكۡرَىٰ﴾ موعظة يتعظ بها أولوا الألباب أهل الإيمان.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

**قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

**يقول تعالى ذكره:** أولم يكف هؤلاء المشركين يا محمد، القائلين: لولا أنزل على محمد ﷺ آية من ربه، من الآيات والحجج ﴿أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ﴾ هذا ﴿ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ﴾ يقول: يُقرأ عليهم، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةً﴾ يقول: إن في هذا الكتاب الذي أنزلنا عليهم لرحمة للمؤمنين به وذكرى يتذكرون بما فيه من عبرة وعظة.

**وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

ثم قال تعالى مبينًا كثرة جهلهم، وسخافة عقلهم، حيث طلبوا آيات تدلهم على صدق محمد فيما جاءهم -وقد جاءهم بالكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، الذي هو أعظم من كل معجزة، إذ عجزت الفصحاء والبلغاء عن معارضته، بل عن معارضة عشر سور من مثله، بل عن معارضة سورة منه -فقال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ أي: أولم يكفهم آية أنا أنزلنا عليك هذا الكتاب العظيم، الذي فيه خبر ما قبلهم، ونبأ ما بعدهم، وحكم ما بينهم، وأنت رجل أمي لا تقرأ ولا تكتب، ولا تخالط أحدًا من أهل الكتاب، فجئتهم بأخبار ما

في الصحف الأولى، ببيان الصواب مما اختلفوا فيه، وبالحق الواضح البين الجلي، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَـٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ١٩٧]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه: ١٣٣].

**وأورد ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما أخرجه أحمد والبخاري ومسلم من حديث[1] أبي هريرة، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة»**. أخرجاه من حديث الليث.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: إن في هذا القرآن: ﴿لَرَحْمَةً﴾ أي: بيانًا للحق، وإزاحة للباطل و﴿وَذِكْرَىٰ﴾ بما فيه حلول النقمات ونزول العقاب بالمكذبين والعاصين، ﴿لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

**وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ هذا جواب لقولهم: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَـٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ﴾ أي أولم يكف المشركين من الآيات هذا الكتاب المعجز الذي قد تحديتهم بأن يأتوا بمثله أو بسورة منه فعجزوا ولو أتيتهم بآيات موسى وعيسى لقالوا: سحر ونحن لا نعرف السحر والكلام مقدور لهم ومع ذلك عجزوا عن المعارضة.

**وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ أي في القرآن ﴿لَرَحْمَةً﴾ في الدنيا والآخرة وقيل: رحمة

---

(١) أحمد (٢/ ٣٤١)، والبخاري (٤٩٨١)، ومسلم (١٥٢).

في الدنيا باستنقاذهم من الضلالة ﴿وَذِكۡرَىٰ﴾ في الدنيا بإرشادهم به إلى الحق ﴿لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٥٢﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: قل يا رسول الله لهؤلاء المكذبين بك الجاحدين نبوتك المشركين بالله ما لم يُنزل به سلطانًا، السائلين عن المعجزات، قل لهؤلاء رضيت بالله شهيدًا يشهد عليَّ وعليكم إن كنت كاذبًا فهو يشهد عليَّ وإن كنتم أنتم الكذبة، وهم كذلك فهو شهيد عليكم، كفى به شهيدًا بيني وبينكم فهو خير الشاهدين، وهو الذي يعلم كل شيء في نفسي وفي نفوسكم، ويعلم ما في السموات والأرض، والذين آمنوا بالشيطان وصدقوه فيما دعاهم إليه من اتخاذ شريك لله ﷻ أولئك هم الذين خسروا أنفسهم وضيعوها وتسببوا لها في وراثة الجحيم عياذًا بالله.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد، للقائلين لك: لولا أنزل عليك آية من ربك، الجاحدين بآياتنا من قومك: كفى الله يا هؤلاء بيني وبينكم، شاهدًا لي وعليّ؛ لأنه يعلم المحقَّ منا من المبطل، ويعلم ما في السموات وما في الأرض، لا يخفى عليه شيء فيهما، وهو المجازي كل فريق منا بما هو أهله، المحق على ثباته على الحقّ، والمبطل على باطله بما هو أهله، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ يقول: صدقوا بالشرك، فأقرّوا به وكفروا

به، يقول: وجحدوا الله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ يقول: هم المغبونون في صفقتهم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ قال: الشرك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ﴾ أي قل للمكذبين لك كفى بالله شهيدًا يشهد لي بالصدق فيما أدعيه من أني رسوله وأن هذا القرآن كتابه ﴿يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ أي لا يخفى عليه شيء وهذا احتجاج عليهم في صحة شهادته عليهم لأنهم قد أقروا بعلمه فلزمهم أن يقروا بشهادته ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ قال يحيى بن سلام: بإبليس وقيل: بعبادة الأوثان والأصنام قاله ابن شجرة ﴿وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ﴾ أي لتكذيبهم برسله وجحدهم لكتابه وقيل: بما أشركوا به من الأوثان وأضافوا إليه من الأولاد والأضداد ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ أنفسهم وأعمالهم في الآخرة.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى: ﴿قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ﴾ أي: هو أعلم بما تفيضون فيه من التكذيب، ويعلم ما أقول لكم من إخباري عنه، بأنه أرسلني، فلو كنت كاذبًا عليه لانتقم مني، كما قال تعالى: ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٧]، وإنما أنا صادق عليه فيما أخبرتكم به، ولهذا أيدني بالمعجزات الواضحات، والدلائل القاطعات.

﴿يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾: لا تخفى عليه خافية.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ أي: يوم معادهم

سيجزيهم على ما فعلوا، ويقابلهم على ما صنعوا، من تكذيبهم بالحق واتباعهم الباطل، كذبوا برسل الله مع قيام الأدلة على صدقهم، وآمنوا بالطواغيت والأوثان بلا دليل، سيجازيهم على ذلك، إنه حكيم عليم.



قَالَ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً
وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ
﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ
نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ
﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا
اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾

[العنكبوت: ٥٣-٦٠]

س: وضح معنى ما يلي:
﴿أَجَلٌ مُّسَمًّى - بَغْتَةً - لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ - يَغْشَىٰهُمُ - فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ - لَنُبَوِّئَنَّهُم - يَتَوَكَّلُونَ - وَكَأَيِّن - لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾؟

ج:

| الكلمة | معناها |
|---|---|
| ﴿أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ | وقت أجَّلهُ الله وحدَّده |
| ﴿ بَغْتَةً﴾ | فجأةً |
| ﴿لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ | سيحيط بهم من كل جانب – محيطة بهم من كل جانب |
| ﴿يَغْشَىٰهُمُ﴾ | يعلوهم – يُغطيهم |
| ﴿فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ﴾ | لا تعبدوا غيري |
| ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾ | لننزلنهم – لنسكننهم |
| ﴿ يَتَوَكَّلُونَ﴾ | يعتمدون |
| ﴿ وَكَأَيِّن﴾ | كم |
| ﴿لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ | لا تدخر رزقها لغدٍ |



## استعجال أهل الكفر نزول العذاب عليهم

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

ج: المعنى –والله أعلم-: ويستعجلونك بنزول العذاب عليهم لكونهم

يكذبونك وينكرون وقوع العذاب فيقولون على سبيل التحدي ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ١٦] أي: نصيبنا من العذاب، ويقول: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ ويقول: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢] إلى غير ذلك من تمنيهم العذاب، فقال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ أي: ولولا أننا كتبنا عليهم أن يعيشوا زمانًا لنزل عليهم العذاب في الحال ولأهلكناهم، وليأتينهم هذا العذاب فجأة من حيث لا يشعرون.

**وبنحو هذا قال العلماء.**

**قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

**يقول تعالى ذكره:** ويستعجلك يا محمد هؤلاء القائلون من قومك: لولا أنزل عليه آية من ربه بالعذاب ويقولون: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال: ٣٢] ولولا أجل سميته لهم فلا أهلكهم حتى يستوفوه ويبلغوه، لجاءهم العذاب عاجلًا. وقوله: ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ يقول: وليأتينهم العذاب فجأة، وهم لا يشعرون بوقت مجيئه قبل مجيئه.

**وأورد بسندٍ حسن عن قتادة:** قوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ قال: قال ناس من جهلة هذه الأمة ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢] الآية.

**وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

يقول تعالى مخبرًا عن جهل المشركين في استعجالهم عذاب الله أن يقع بهم، وبأس الله أن يحل عليهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا

هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأنفال: ٣٢]، وقال هاهنا: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ أي: لولا ما حَتَّم الله من تأخير العذاب إلى يوم القيامة لجاءهم العذاب قريبًا سريعًا كما استعجلوه.

ثم قال: ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً﴾ أي: فجأة، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٥٣ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: يستعجلون بالعذاب، وهو واقع بهم لا محالة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ لما أنذرهم بالعذاب قالوا لفرط الإنكار: عجل لنا هذا العذاب وقيل: إن قائل ذلك النضر بن الحارث وأبو جهل حين قالا: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال: ٣٢] وقولهم: ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ١٦] وقوله: ﴿وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ في نزول العذاب قال ابن عباس: يعني هو ما وعدتك ألا أعذب قومك وأؤخرهم إلى يوم القيامة بيانه: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ [القمر: ٤٦] وقال الضحاك: هو مدة أعمارهم في الدنيا. وقيل: المراد بالأجل المسمى النفخة الأولى، قال يحيى بن سلام: وقيل: الوقت الذي قدره الله لهلاكهم وعذابهم قاله ابن شجرة وقيل: هو القتل يوم بدر وعلى الجملة فلكل عذاب أجل لا يتقدم ولا يتأخر ودليله قوله: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ [الأنعام: ٦٧] ﴿لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ يعني الذي استعجلوه ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً﴾ أي فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي لا يعلمون بنزوله عليهم.



س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ۝٥٤ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: يستعجل أهلُ الكفر نزول العذاب عليهم وإنه آتيهم لا محالة وسيدخلون جهنم وتحيط بهم من كل الجوانب كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَآۚ﴾ [الكهف: ٢٩] ويقويه قوله بعدها: ﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ ...﴾ أي: وإن جهنم لميحطة بهم يوم يغشاهم العذاب.

هذا، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن ذلك في الدنيا، وذهب أن البحر تحت النار فقد أورد الطبري بسندٍ صحيح عن عكرمة في هذه الآية ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ قال: البحر.

وقال الطبري قبلها.

يقول تعالى ذكره: يستعجلكَ يا محمد هؤلاء المشركون بمجيء العذاب ونزوله بهم، والنار بهم محيطة، لم يبق إلا أن يدخلوها. وقيل: إن ذلك هو البحر.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ أي: يستعجلونك وقد أعد لهم جهنم وأنها ستحيط بهم لا محالة فما معنى الاستعجال وقيل: نزلت في عبد الله بن أبي أمية[١] وأصحابه من المشركين حين قالوا: ﴿ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا ﴾ [الإسراء: ٩٢ ].



(١) وذلك يفتقر إلى صحة الإسناد.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

ج: هنا - والله أعلم - وجهان:

أحدهما: أن الآية متعلقة بما قبلها، فيكون المعنى وإن جهنم لمحيطة بالكافرين يوم يغشاهم العذاب...

والثاني: أن المعنى واذكر يوم يغشاهم العذاب...

أما عن معنى الآية إجمالًا يوم يغطيهم العذاب من كل الجوانب من تحتهم ومن فوقهم كما قال تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١] عند ذلك نقول للظالمين الكافرين الجاحدين: ذوقوا جزاء تكذيبكم وجزاء شرككم وكفركم وسيئ أعمالكم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ يوم يغشى الكافرين العذاب، من فوقهم في جهنم، ومن تحت أرجلهم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾: أي في النار.

وقوله: ﴿وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يقول جلّ ثناؤه: ويقول الله لهم: ذوقوا ما كنتم تعملون في الدنيا من معاصي الله، وما يسخطه فيها. وبالياء في ﴿وَيَقُولُ ذُوقُواْ﴾ قرأت عامة قرّاء الأمصار خلا أبي جعفر، وأبي عمرو، فإنهما قرآ ذلك بالنون: (وَنَقُولُ). والقراءة التي هي القراءة عندنا بالياء، لإجماع الحجة من القرّاء عليها.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾، كقوله تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١]، وقال: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر: ١٦]، وقال: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ﴾ [الأنبياء: ٣٩]، فالنار تغشاهم من سائر جهاتهم، وهذا أبلغ في العذاب الحسي.

وقوله: ﴿وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، تهديد وتقريع وتوبيخ، وهذا عذاب معنوي على النفوس، كقوله: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٨، ٤٩]، وقال: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٣-١٦] ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [الذاريات: ١٤].

**وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:**

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ قيل: هو متصل بما هو قبله أي يوم يصيبهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم فإذ غشيهم العذاب أحاطت بهم جهنم وإنما قال: ﴿وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ للمقاربة وإلا فالغشيان من فوق أعم كما قال الشاعر:

علفتها تبنا وماء باردا



## حث المؤمن على إقامة دين في أي مكان

**س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾﴾؟**

ج: حاصل المعنى – والله أعلم –: أن الله ﷻ ينادي عباده ويأمرهم إذا تعذرت عليهم طاعته في مكانٍ من الأماكن فليتركوه وليذهبوا إلى مكان آخر أكثر أمانًا يعبدون الله ﷻ فيه ولا يعصونه، فيقول تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ يا أهل الإيمان والتصديق ﴿إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ فأخلصوا في عبادتي وانتقلوا في أرضي حيث تستطيعوا الإخلاص في عبادتي، ثم هوَّن عليه أمر الدنيا بقوله: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ﴾ أي: أنكم ستموتون حتمًا إما في بلادكم أو في أي أرض كنتم ثم إن مرجعكم إلى الله ﷻ فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته أو يعفو.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من عباده: يا عبادي الذين وحَّدوني، وآمنوا بي، وبرسولي محمد ﷺ ﴿إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ﴾.

واختلف أهل التأويل في المعنى الذي أريد من الخبر عن سعة الأرض، فقال بعضهم: أريد بذلك أنها لم تضق عليكم فتقيموا بموضع منها لا يحلّ لكم المُقام فيه، ولكن إذا عمل بمكان منها بمعاصي الله، فلم تقدروا على تغييره، فاهرُبوا منه.

وأورد الطبري آثارًا كثيرةً بذلك.

وقال: وقال آخرون: معنى ذلك: إن ما أخرج من أرضي لكم من الرزق واسع لكم. ثم قال:

وأولى القولين بتأويل الآية، قول من قال: معنى ذلك: إن أرضي واسعة، فاهربوا ممن منعكم من العمل بطاعتي؛ لدلالة قوله: ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ على

ذلك، وأن ذلك هو أظهر معنييه، وذلك أن الأرض إذا وصفها بِسعَة، فالغالب من وصفه إياها بذلك لا تضيق جميعها على من ضاق عليه منها موضع، لا أنه وصفها بكثرة الخير والخصب.

وقوله: ﴿فَإِيَّىَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ يقول: فأخلصوا لي عبادتكم وطاعتكم، ولا تطيعوا في معصيتي أحدًا من خلقي.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب نبيه: هاجِرُوا من أرض الشرك، من مكة إلى أرض الإسلام المدينة، فإن أرضي واسعة، فاصبروا على عبادتي، وأخلِصوا طاعتي، فإنكم ميتون وصائرون إليَّ؛ لأن كل نفس حية ذائقة الموت، ثم إلينا بعد الموت تُرَدّون.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا أمر من الله لعباده المؤمنين بالهجرة من البلد الذي لا يقدرون فيه على إقامة الدين، إلى أرض الله الواسعة، حيث يمكن إقامة الدين، بأن يوحدوا الله ويعبدوه كما أمرهم ؛ ولهذا قال : ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّىَ فَٱعۡبُدُونِ﴾.

ثم قال: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾ أي: أينما كنتم يدرككم الموت، فكونوا في طاعة الله وحيث أمركم الله، فهو خير لكم، فإن الموت لا بد منه، ولا محيد عنه، ثم إلى الله المرجع، فَمَنْ كان مطيعًا له جازاه أفضل الجزاء، ووافاه تمام الثواب.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فأخبرهم الله تعالى بسعة أرضه وأن البقاء في بقعة على أذى الكفار ليس

بصواب، بل الصواب أن يتلمس عبادة الله في أرضه مع صالحي عباده؛ أي: إن كنتم في ضيق من إظهار الإيمان بها فهاجروا إلى المدينة فإنها واسعة؛ لإظهار التوحيد بها.

**وقال:**

وقيل: المعنى: إن أرضي التي هي أرض الجنة واسعة ﴿فَٱعۡبُدُونِ﴾ حتى أورثكموها ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ ﴿إياي﴾ منصوب بفعل مضمر أي فاعبدوا إياي فاعبدون فاستغنى بأحد الفعلين عن الثاني والفاء في قوله: ﴿فَإِيَّٰيَ﴾ بمعنى الشرط أي إن ضاق بكم موضع فإياي فاعبدوني في غيره لأن أرضي واسعة.

**قوله تعالى:** ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾ تقدم في (آل عمران) وإنما ذكره هاهنا تحقيرًا لأمر الدنيا ومخاوفها كأن بعض المؤمنين نظر في عاقبة تلحقه في خروجه من وطنه من مكة أنه يموت أو يجوع أو نحو هذا فحقر الله شأن الدنيا أي أنتم لا محالة ميتون ومحشورون إلينا فالبدار إلى طاعة الله والهجرة إليه وإلى ما يمتثل. ثم وعد المؤمنين العاملين بسكنى الجنة تحريضًا منه تعالى وذكر الجزاء الذي ينالونه.

**وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

**قوله تعالى:** ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾.

نادى الله جلَّ وعلا عباده المؤمنين، وأكّد لهم أن أرضه واسعة، وأمرهم أن يعبدوه وحده دون غيره، كما دلّ عليه تقديم المعمول الذي هو إياي؛ كما بيّناه في الكلام على قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾.

**والمعنى:** أنهم إن كانوا في أرض لا يقدرون فيها على إقامة دينهم، أو يصيبهم فيها أذى الكفار، فإن أرض ربّهم واسعة فليهاجروا إلى موضع منها

يقدرون فيه على إقامة دينهم، ويسلمون فيه من أذى الكفار، كما فعل رسول الله ﷺ والمسلمون.

وهذا المعنى الذي دلّت عليه هذه الآية الكريمة جاء في آيات أُخر؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ﴾ [النساء: ٩٧]، وقوله تعالى: ﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: والذين آمنوا بالله ﷻ وصدقوا رسله وأتبعوا ذلك بعمل الصالحات طائعين لله في كل ما أمرهم به منتهين عن كل ما نهى عنه لنُسكننهم من الجنة غرفًا عوالي تجري من تحت أشجارها الأنهار ماكثين فيها أبدًا لا يحوَّلون عنها ولا يرغبون في التحول عنها، نعم الأجر الذي أعده الله لعاملي الصالحات، الذين صبروا على طاعة الله ﷻ وصبروا على أقداره، واعتمدوا على الله في كل شؤونهم ولقضاء كل حوائجهم.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم أخبرهم جلّ ثناؤه عما أعدّ للصابرين منهم على طاعته من كرامته عنده، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، يعني: صدقوا الله ورسوله فيما جاء به من عند الله، ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يقول: وعملوا بما أمرهم الله فأطاعوه فيه، وانتهوا

عما نهاهم عنه ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفًا﴾ يقول: لننزلنهم من الجنة عَلالي.

**وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

وقوله: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ يقول: تجري من تحت أشجارها الأنهار ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾ يقول: ماكثين فيها إلى غير نهاية، ﴿نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ يقول: نعم جزاء العاملين بطاعة الله هذه الغرفُ التي يُثْوِيهُمُوها الله في جنَاته، تجرى من تحتها الأنهار، الذين صبروا على أذى المشركين في الدنيا، وما كانوا يَلْقون منهم، وعلى العمل بطاعة الله وما يرضيه، وجهاد أعدائه ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ في أرزاقهم وجهاد أعدائهم، فلا يَنْكُلون عنهم، ثقة منهم بأن الله مُعْلِي كلمته، ومُوهِن كيد الكافرين، وأن ما قُسِم لهم من الرزق فلن يَفُوتَهم.

**وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

**ولهذا قال:** ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفًا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ أي: لنسكننهم منازل عاليةً في الجنة تجري من تحتها الأنهار، على اختلاف أصنافها، من ماء وخمر، وعسل ولبن، يصرفونها ويجرونها حيث شاؤوا، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾ أي: ماكثين فيها أبدًا لا يبغون عنها حولًا ﴿نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾: نعمت هذه الغرفُ أجرًا على أعمال المؤمنين.

﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ أي: على دينهم، وهاجروا إلى الله، ونابذوا الأعداء، وفارقوا الأهل والأقرباء ابتغاء وجه الله، ورجاء ما عنده وتصديق موعوده.

**قال ابن أبي حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** حدثني أبي، حدثنا صفوان المؤذِنَ، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا معاوية بن سلام، عن أخيه زيد بن سلام، عن جده أبي سلام الأسود، حدثني أبو معَاتق الأشعري، أن أبا مالك الأشعري حدثه أن رسول الله ﷺ حدثه: «**أن في الجنة غُرَفًا يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها،**

أعدَّها الله لِمَنْ أطعم الطعام، وأطاب الكلام، وأباح الصيام، وأقام الصلاة والناس نيام»[(١)].

﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾، في أحوالهم كلها، في دينهم ودنياهم.

ثم أخبرهم تعالى أن الرزق لا يختص ببقعة، بل رزقه تعالى عام لخلقه حيث كانوا وأين كانوا، بل كانت أرزاق المهاجرين حيث هاجروا أكثر وأوسع وأطيب، فإنهم بعد قليل صاروا حكام البلاد في سائر الأقطار والأمصار.

## الرزق من عند الله

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦٠﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: وكم من دابة تمشي على الأرض لا تستطيع أن تدخر رزقها لغدٍ، ولا تحمله على ظهرها لغدٍ يرزقها الله ﷻ يومًا بيوم ووقتًا بوقتٍ كلما جاعت وجدت طعامها بإذن الله وهو سبحانه السميع للأقوال، ولكل شيء العليم بأحوال عباده، وفي هذا تهييج على الهجرة في سبيل الله وقذف الطمأنينة في النفوس أن الله يتولى أمر العباد. والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله، من أصحاب محمد ﷺ: هاجروا وجاهدوا في الله أيها المؤمنون أعداءه، ولا تخافوا عيلة ولا إقتارًا، فكم من دابة ذات حاجة إلى غذاء ومطعم ومشرب ﴿لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾، يعني: غذاءها لا تحمله، فترفعه في يومها لغدها لعجزها عن ذلك ﴿ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ يومًا بيوم ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالكم: نخشى بفراقنا أوطاننا العَيْلة ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ ما في أنفسكم،

(١) أحمد (٥/ ٣٤٣).

وما إليه صائر أمركم، وأمر عدوّكم، من إذلال الله إياهم، ونُصرتكم عليهم، وغير ذلك من أموركم، لا يخفى عليه شيء من أمور خلقه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولهذا قال: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا﴾ أي: لا تطيق جمعه وتحصيله ولا تؤخر شيئًا لغد، ﴿ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ﴾ أي: الله يقيض لها رزقها على ضعفها، وييسره عليها، فيبعث إلى كل مخلوق من الرزق ما يصلحه، حتى الذر في قرار الأرض، والطير في الهواء والحيتان في الماء، قال الله تعالى: ﴿۞وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [هود: ٦].

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ﴾ يسوي بين الحريص والمتوكل في رزقه وبين الراغب والقانع وبين الحيول والعاجز حتى لا يغتر الجلِدُ أنه مرزوق بجَلَدِهِ ولا يتصور العاجز أنه ممنوع بعجزه وفي الصحيح عن النبي ﷺ: «**لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا**» ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لدعائكم وقولكم لا نجد ما ننفق بالمدينة ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ بما في قلوبكم.



قَالَ اللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ
فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ
شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ
بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا
هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ
كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ
فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ
فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ
حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ
عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ
﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾
[العنكبوت: ٦١-٦٩].

س: وضح معنى ما يلي:

﴿يُؤْفَكُونَ - يَبْسُطُ - وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ - لَهْوٌ - ٱلْحَيَوَانُ - ٱلْفُلْكِ - مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ - حَرَمًا ءَامِنًا - وَيُتَخَطَّفُ - ٱلنَّاسُ - أَفَبِٱلْبَٰطِلِ - مَثْوًى - جَٰهَدُوا۟ فِينَا - لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾.

ج:

| الكلمة | معناها |
|---|---|
| ﴿يُؤْفَكُونَ﴾ | يصرفون عن الحق – يكذبون |
| ﴿يَبْسُطُ﴾ | يوسع |
| ﴿وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ﴾ | يضيق |
| ﴿لَهْوٌ﴾ | ما يُلتهى به |
| ﴿ٱلْحَيَوَانُ﴾ | الحياة الباقية |
| ﴿ٱلْفُلْكِ﴾ | السفن العظيمة |
| ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ | مفردين ربكم بالدعاء والعبادة |
| ﴿حَرَمًا ءَامِنًا﴾ | مكة جعلناها مؤمنة لا يحمل فيها سلاح ولا يعضد فيها شوك... إلى غير ذلك |
| ﴿وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ﴾ | يُقتل الناس وتسلب أموالهم ويعتدى عليهم ويؤسرون |
| ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ﴾ | أفبوعد الشيطان – أفبالشرك |
| ﴿مَثْوًى﴾ | مقامٌ ومنزلٌ |
| ﴿جَٰهَدُوا۟ فِينَا﴾ | جاهدوا لنصرة ديننا |

﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ لنوفقنهم ولندلنهم على طرق الخير الموصلة لمرضاتنا وجناتنا

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: ولئن سألت هؤلاء المشركين من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر يجريان هذا يعقب ذاك؟ ليقولن الله الذي فعل ذلك كله.

فمن أي وجهٍ إذن يصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره ويعدلون عن عبادته إلى عبادة غيره.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله، من خلق السموات والأرض فَسَوّاهن، وسخَّر الشمس والقمر لعباده، يجريان دائبين لمصالح خلق الله، ليقولنّ: الذي خلق ذلك وفعَلَه الله. ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ يقول جلّ ثناؤه: فأنى يُصْرفون عمن صنع ذلك، فيعدلون عن إخلاص العبادة له.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: إن الله عَزَّ وَجَلَّ يوسع على من يشاء من عباده في أرزاقهم ويضيق عليهم إن شاء، وهو عليم بكل ما يصلح عباده، وكما قال سبحانه: ﴿۞ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٧].

**قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

**يقول تعالى ذكره:** الله يوسع من رزقه لمن يشاء من خلقه، ويضيق فيُقتِّر لمن يشاء منهم، يقول: فأرزاقكم وقسمتها بينكم أيها الناس بيدي، دون كل أحد سواي، أبسط لمن شئت منها، وأقتر على من شئت، فلا يخلفنكم عن الهجرة وجهاد عدوّكم خوف العيلة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ يقول: إن الله عليم بمصالحكم، ومن لا يصلُح له إلا البسط في الرزق، ومن لا يصلح له إلا التقتير عليه، وهو عالم بذلك.

**وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ الآية لما عير المشركون المسلمين بالفقر وقالوا: لو كنتم على حق لم تكونوا فقراء وكان هذا تمويهًا وكان في الكفار فقراء أيضًا أزال الله هذه الشبهة وكذا قول من قال إن هاجرنا لم نجد ما ننفق أي: فإذا اعترفتم بأن الله خالق هذه الأشياء فكيف تشكون في الرزق فمن بيده تكوين الكائنات لا يعجز عن رزق العبد ولهذا وصله قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ﴾ ﴿فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ أي كيف يكفرون بتوحيدي وينقلبون عن عبادتي ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ أي لا يختلف أمر الرزق بالإيمان والكفر، فالتوسيع والتقتير منه فلا تعيير بالفقر فكل شيء بقضاء وقدر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ من أحوالكم وأموركم وقيل: عليم بما يصلحكم من إقتار أو توسيع.



**س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ٦٣﴾.**

ج: المعنى – والله أعلم –: ولئن سألت هؤلاء الكفار من أنزل من السماء مطر فأنبت به الأرض بعد أن كانت ميتة لا حياة فيها ليقولن الله الذي فعل ذلك، فقل لهم الحمد لله على إقراركم أن الله فعل ذلك، وقل في نفسك الحمد لله الذي فعل ذلك، واعجب من أمرهم، وكون أكثرهم يقرون بذلك ويتجهون إلى عبادة غيره، فحقًّا إن أكثرهم لا يعقلون.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله من قومك من نزل من السماء ماء، وهو المطر الذي ينزله الله من السحاب ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ يقول: فأحيا بالماء الذي نزل من السماء الأرض، وإحياؤها: إنباته النبات فيها ﴿مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ من بعد جدوبها وقحوطها.

وقوله: ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ يقول: ليقولنّ الذي فعل ذلك الله، الذي له عبادة كل شيء.

وقوله: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ يقول: وإذا قالوا ذلك، فقل: الحمد لله ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ يقول: بل أكثر هؤلاء المشركين بالله لا يعقلون ما لهم فيه النفع من أمر دينهم، وما فيه الضرّ، فهم لجهلهم يحسبون أنهم لعبادتهم الآلهة دون الله، ينالون بها عند الله زُلْفة وقربة، ولا يعلمون أنهم هالكون، مستوجبون الخلود في النار.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مقررًا أنه لا إله إلا هو؛ لأن المشركين –الذين يعبدون معه غيره –معترفون أنه المستقل بخلق السموات والأرض والشمس والقمر، وتسخير الليل والنهار، وأنه الخالق الرازق لعباده، ومقدر آجالهم، واختلافها

واختلاف أرزاقهم ففاوت بينهم، فمنهم الغني والفقير، وهو العليم بما يصلح كُلًّا منهم، ومَنْ يستحق الغنى ممن يستحق الفقر، فذكر أنه المستبدُّ بخلق الأشياء المتفرد بتدبيرها، فإذا كان الأمر كذلك فلم يُعبد غيره؟ ولم يتوكل على غيره؟ فكما أنه الواحد في ملكه فليكن الواحد في عبادته، وكثيرًا ما يقرر تعالى مقام الإلهية بالاعتراف بتوحيد الربوبية. وقد كان المشركون يعترفون بذلك، كما كانوا يقولون في تلبيتهم: «لبيك لا شريك لك، إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك».

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ أي من السحاب مطرًا ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ أي: جدبها وقحط أهلها ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ أي فإذا أقررتم بذلك فلم تشركون به وتنكرون الإعادة وإذا قدر على ذلك فهو القادر على إغناء المؤمنين فكرر تأكيدًا ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي على ما أوضح من الحجج والبراهين على قدرته ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أي لا يتدبرون هذه الحجج وقيل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على إقرارهم بذلك وقيل: على إنزال الماء وإحياء الأرض.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: وما هذه الحياة الدنيا بما فيها من ملاذٍ ومطاعم ومشارب ومساكن ومناكح وغير ذلك من المتاع الفاني الزائل إلا لهو يلتهى

به أهلها ولعب يلعبون به ثم يزولون عن ذلك كله ويزول كل ذلك عنهم إلا ما ابتغى به وجه الله ﷻ من صالح الأقوال والأعمال والنيات فهذا الذي يبقى كما قال تعالى: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦]، وقال: ﴿وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ [مريم: ٧٦] أما سائر ما في الدنيا فزائل وفان، وإن الدار الآخرة (جنتها ونارها) لهي الحياة الباقية التي لا تفنى ولا تزول فاحرصوا على جنتها وابتعدوا عن نارها.

**قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

**يقول تعالى ذكره:** ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾ التي يتمتع منها هؤلاء المشركون ﴿إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ يقول: إلا تعليل النفوس بما تلتذّ به، ثم هو مُنْقَضٍ عن قريب، لا بقاء له ولا دوام ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ يقول: وإن الدار الآخرة لفيها الحياة الدائمة التي لا زوال لها ولا انقطاع ولا موت معها.

**وأورد بإسناد حسن عن قَتادة:** قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ حياة لا موت فيها.

**قال الطبري:**

وقوله: ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ يقول: لو كان هؤلاء المشركون يعلمون أن ذلك كذلك، لقَصَّروا عن تكذيبهم بالله، وإشراكهم غيره في عبادته، ولكنهم لا يعلمون ذلك.

**وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

يقول تعالى مخبرًا عن حقارة الدنيا وزوالها وانقضائها، وأنها لا دوام لها، وغاية ما فيها لهو ولعب: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ أي: الحياة الدائمة

الحق الذي لا زوال لها ولا انقضاء، بل هي مستمرة أبد الآباد.

وقوله: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لآثروا ما يبقى على ما يفنى.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ أي: شيء يلهى به ويلعب أي ليس ما أعطاه الله الأغنياء من الدنيا إلا وهو يضمحل ويزول كاللعب الذي لا حقيقة له ولا ثبات قال بعضهم: الدنيا إن بقيت لك لم تبق لها وأنشد:

تروح لنا الدنيا بغير الذي غدت ... وتحدث من بعد الأمور أمور

وتجري الليالي باجتماع وفرقة ... وتطلع فيها أنجم وتغور

فمن ظن أن الدهر باقٍ سروره ... فذاك محال لا يدوم سرور

عفا الله عمن صير الهم واحدا ... وأيقن أن الدائرات تدور

قلت: وهذا كله في أمور الدنيا من المال والجاه والملبس الزائد على الضروري الذي به قوام العيش والقوة على الطعات وأما ما كان منها لله فهو من الآخرة وهو الذي يبقى كما قال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] أي ما ابتغى به ثوابه ورضاه ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ أي دار الحياة الباقية التي لا تزول ولا موت فيها وزعم أبو عبيدة: أن الحيوان والحياة والحي بكسر الحاء واحد كما قال:

وقد ترى إذ الحياة حِيُّ

وغيره يقول: إن الحي جمع على فعول مثل عصي والحيوان يقع علي كل شيء حي وحيوان عين في الجنة وقيل: أصل حيوان حييان فأبدلت إحداهما واوًا لاجتماع المثلين ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أنها كذلك



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: أن هؤلاء المشركين الذين يدعون مع الله إلهًا آخر إذا سافروا وركبوا السفن العظيمة في البحار فلعبت بهم الأمواج وهاجت بهم الرياح توجهوا إلى الله ﷻ وحده لا شريك له بالدعاء سائلين راجين ولم يدعو حينئذٍ صنمًا ولا وثنًا ولا شجرًا ولا حجرًا ولا غير ذلك، إنما دعو الله ﷻ مفردين إياه بالدعاء فإذا سلمهم الله وهدأت الرياح والأمواج ونجاهم الله إلى البر إذا هم يعودون إلى شركهم بالله وينسون إنجاء الله ﷻ لهم فيكفروا بصنيعهم هذا، فتهددهم الله ﷻ وتوعدهم بقوله: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ أي: سوف يعلمون عاقبة تكذيبهم وشركهم وكفرهم وعنادهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فإذا ركب هؤلاء المشركون السفينة في البحر، فخافوا الغرق والهلاك فيه ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ يقول: أخلصوا لله – عند الشدّة التي نزلت بهم– التوحيد، وأفردوا له الطاعة، وأذعنوا له بالعبودية، ولم يستغيثوا بآلهتهم وأندادهم، ولكن بالله الذي خلقهم ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ﴾ يقول: فلما خلصهم مما كانوا فيه وسلّمهم، فصاروا إلى البرّ، إذا هم يجعلون مع الله شريكا في عبادتهم، ويدعون الآلهة والأوثان معه أربابًا.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾

فالخلق كلهم يقرّون لله أنه ربهم، ثم يشركون بعد ذلك.

**وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

ويقول تعالى ذكره: فلما نجى الله هؤلاء المشركين مما كانوا فيه في البحر، من الخوف والحذر من الغرق إلى البرّ، إذا هم بعد أن صاروا إلى البرّ يشركون بالله الآلهة والأنداد. ﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ﴾ يقول: ليجحدوا نعمة الله التي أنعمها عليهم في أنفسهم وأموالهم.

**وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

ثم أخبر تعالى عن المشركين أنهم عند الاضطرار يدعونه وحده لا شريك له، فهلا يكون هذا منهم دائمًا ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ كقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ﴾ [الإسراء: ٦٧]. وقال هاهنا: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾.

**وقوله:** ﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ﴾: هذه اللام يسميها كثير من أهل العربية والتفسير وعلماء الأصول لام العاقبة؛ لأنهم لا يقصدون ذلك، ولا شك أنها كذلك بالنسبة إليهم، وأما بالنسبة إلى تقدير الله عليهم ذلك وتقييضه إياهم لذلك فهي لام التعليل. وقد قدَّمْنا تقرير ذلك في قوله: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨].

**وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

**قوله تعالى:** ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ يعني: السفن وخافوا الغرق ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أي: صادقين في نياتهم وتركو عبادة الأصنام ودعاءها ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ أي: يدعون معه غيره وما لم ينزل به سلطانا وقيل: إشراكهم أن يقول قائلهم لولا الله والرئيس أو الملاح لغرقنا فيجعلون ما فعل

الله لهم من النجاة قسمة بين الله وبين خلقه.

قوله تعالى: ﴿لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ وَلِيَتَمَتَّعُواْۚ﴾ قيل: هما لام كي أي: لكي يكفروا ولكي يتمتعوا وقيل: ﴿إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ﴾ ليكون ثمرة شركهم أن يجحدوا نعم الله ويتمتعوا بالدنيا وقيل: هما لام أمر معناه التهديد والوعيد أي: اكفروا بما أعطيناكم من النعمة والنجاة من البحر وتمتعوا.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ ٦٧﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: أولم ير هؤلاء الكفار الجاحدون نعم الله المتخذون معه إلهًا آخر، أولم يروا نعمة الله ﷻ عليهم فيشكروها أولم يروا أنا جعلنا بلادهم آمنة مطمئنة والناس من حولهم يتخطفون قتلًا وسلبًا ونهبًا، فغيرهم يقتل ويُسلب وينهب وهم هنا في بلادهم آمنين مطمئنين لكوننا جعلنا بلادهم حرمًا آمنًا.

وهذا كقوله تعالى: ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾ [قريش: ٣-٤].

وكقوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [القصص: ٥٧].

أما قوله تعالى: ﴿أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ﴾ فحاصل معناه أفبوعد الشيطان الباطل، وكذب الشيطان ودعواه بأن الله له شريك، أيصدقون الشيطان بأن الله له شريك، ويعبدونه من دون الله ويجحدون نعم الله عليهم ويجحدون وحدانية الله ﷻ.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾ يقول تعالى ذكره، مذكرًا هؤلاء المشركين من قريش، القائلين: لولا أنزل عليه آية من ربه، نِعْمَتَه عليهم التي خصهم بها دون سائر الناس غيرهم، مع كفرهم بنعمته وإشراكهم في عبادته الآلهة والأنداد: أولم ير هؤلاء المشركون من قريش، ما خصصناهم به من نعمتنا عليهم، دون سائر عبادنا، فيشكرونا على ذلك، وينزجروا عن كفرهم بنا، وإشراكهم ما لا ينفعنا، ولا يضرّهم في عبادتنا أنا جعلنا بلدهم حرمًا، حرّمنا على الناس أن يدخلوه بغارة أو حرب، آمنًا يأمن فيه من سكنه، فأوى إليه من السباء، والخوف، والحرام الذي لا يأمنه غيرهم من الناس، ﴿وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ يقول: وتُسْلَب الناس من حولهم قتلًا وسباء.

وأورد بإسناد حسن عن قَتادة: في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ قال: كان لهم في ذلك آية، أن الناس يُغزَون ويُتَخطَّفون وهم آمنون.

وقوله: ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ يقول: أفبالشرك بالله يقرّون بألوهة الأوثان بأن يصدّقوا، وبنعمة الله التي خصهم بها من أن جعل بلدهم حرمًا آمنًا يكفرون، يعني بقوله: ﴿يَكْفُرُونَ﴾: يجحدون.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ممتنًّا على قريش فيما أحلهم من حرمه، الذي جعله للناس سواء العاكف فيه والبادي، ومن دخله كان آمنًا، فهم في أمن عظيم، والأعراب حوله ينهب بعضهم بعضًا ويقتل بعضهم بعضًا، كما قال تعالى: ﴿لِإِيلَافِ

قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ [قريش: ١-٤].

وقوله: ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ أي: أفكان شكرهم على هذه النعمة العظيمة أن أشركوا به، وعبدوا معه الأصنام والأنداد، و﴿بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨]، وكفروا بنبي الله وعبده ورسوله، فكان اللائق بهم إخلاص العبادة لله، وألا يشركوا به، وتصديق الرسول وتعظيمه وتوقيره، فكذبوه وقاتلوه وأخرجوه من بين أظهرهم؛ ولهذا سلبهم الله ما كان أنعم به عليهم، وقتل من قتل منهم ببدر، وصارت الدولة لله ولرسوله وللمؤمنين، ففتح الله على رسوله مكة، وأرغم آنافهم وأذل رقابهم.



## بعض صور الكذب والافتراء على الله ﷻ

س: وضح معنى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: ليس هناك أحدٌ من المفترين الكاذبين أظلم من شخص افترى على الله كذبًا أو كذب بالقرآن لما جاءه به رسول الله ﷺ وكذَّب بتوحيد الله ﷻ، أليس في إخبارنا أن جهنم مقامٌ للكافرين مُدكر ومتعظ ومزدجر لمن قال هذا حتى يُقلع عنه؟!!

هذا، وللكذب على الله صور، منها: ادعاء الشريك له وكذا ادعاء الصاحبة والولد له – تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا– ومن ذلك قولهم إذا فعلوا فاحشة: ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ﴾ [الأعراف: ٢٨] وكذلك تحريمهم ما أحل الله كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام، ونسبة ذلك إلى الله، ومن

ذلك أيضًا ادعاء بعضهم أنه أوحى إليه ولم يوح إليه شيء، إلى غير ذلك من صور الكذب والافتراء على الله.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ومن أظلم أيها الناس ممن اختلق على الله كذبًا، فقالوا إذا فعلوا فاحشة: وجدنا عليها آباءنا، والله أمرنا بها، والله لا يأمر بالفحشاء ﴿أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ﴾ يقول: أو كذّب بما بعث الله به رسوله محمدا ﷺ من توحيده، والبراءة من الآلهة والأنداد لما جاءه هذا الحقّ من عند الله ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ يقول: أليس في النار مَثْوًى ومَسْكَن لمن كفر بالله، وجحد توحيده وكذّب رسوله ﷺ، وهذا تقرير، وليس باستفهام، إنما هو كقول جرير:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطايا وأَنْدَى العَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ

إنما أخبر أن للكافرين بالله مَسْكَنا في النار، ومنزلًا يَثْوُونَ فيه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ﴾ أي: لا أحد أشد عقوبة ممن كذب على الله فقال: إن الله أوحى إليه، ولم يوح إليه شيء. ومن قال: سأنزل مثل ما أنزل الله. وهكذا لا أحد أشد عقوبة ممن كذب بالحق لما جاءه، فالأول مفتر، والثاني مكذب؛ ولهذا قال: ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ أي لا أحد أظلم ممن جعل مع الله شريكا وولدا وإذا فعل فاحشة قال: ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [

الأعراف: ٢٨ ] ﴿أَوۡ كَذَّبَ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ﴾ قال يحيى بن سلام: بالقرآن وقال السدي: بالتوحيد وقال ابن شجرة: بمحمد ﷺ وكل قول يتناول القولين ﴿أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ أي: مستقر وهو استفهام تقرير.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: والذين بذلوا من أموالهم وأنفسهم وأوقاتهم جهدًا لنصرة ديننا ولإعلاء كلمتنا لنوفقنهم لإصابة الحق ولطريق الرشاد ولسبيل الجنة، وإن الله ﷻ لمع أهل الإحسان يوفقهم ويسددهم ويهديهم ويحفظهم ويرعاهم ويتولاهم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: والذين قاتلوا هؤلاء المفترين على الله كذبًا من كفار قريش، المكذّبين بالحقّ لما جاءهم فينا، مُبتغين بقتالهم علوّ كلمتنا، ونُصرة ديننا ﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ يقول: لنوفقنهم لإصابة الطرق المستقيمة، وذلك إصابة دين الله الذي هو الإسلام الذي بعث الله به محمدًا ﷺ ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ يقول: وإن الله لمع من أحسن من خلقه، فجاهد فيه أهل الشرك، مُصَدّقا رسوله فيما جاء به من عند الله بالعون له، والنصرة على من جاهد من أعدائه.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا﴾ فقلت له: قاتلوا فينا، قال: نعم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا﴾ يعني: الرسول، صلوات الله وسلامه عليه، وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين ﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾، أي: لنُبَصرنهم سبلنا، أي: طرقنا في الدنيا والآخرة.

**وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا﴾ أي: جاهدوا الكفار فينا أي: في طلب مرضاتنا.

وأورد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أقوالًا منها قول ابن عطية: فهي قبل الجهاد العُرفي، وإنما هو جهاد عام في دين الله وطلب مرضاته، وقولًا ثانيًا، أُراه قاصرًا، وهو أنه في العبَّاد، وقولًا ثالثًا: مؤداه أنها في الذين يعملون بما يعلمون فيورثهم الله علم ما لم يكونوا يعلمون.

**وقولًا رابعًا أعم شيئًا ما، وهو قول أبي سليمان الداراني:**

ليس الجهاد في الآية قتال الكفار فقط بل هو نصر الدين والرد على المبطلين وقمع الظالمين وعُظمه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومنه مجاهدة النفوس في طاعة الله وهو الجهاد الأكبر وقال سفيان بن عيينة لابن المبارك: إذا رأيت الناس قد اختلفوا فعليك بالمجاهدين وأهل الثغور فإن الله تعالى يقول: ﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ﴾.

وأورد قول ابن عباس وفيه: والذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا.

**وقال القرطبي أيضًا:** ﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾ أي: طريق الجنة، وقال: وهو سبحانه معهم بالنصر والمعونة والحفظ والهداية ومع الجميع بالإحاطة والقدرة. والله أعلم.



## من سلك طريق الهداية يسرها الله عليه

س: اذكر بعض الأدلة على أن من سلك طريق الهداية يسر الله له أسبابها وسهلها عليه؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾. [الليل: ٥-٧]

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

وقوله تعالى في الحديث القدسي: «إِذَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَإِذَا تَقَرَّبَ مني ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً...».

والله أعلم.

